

تأليف

فضيلة الدكتور

عبد المحسن بن زبن المطيري



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المطيري ، عبد المحسن بن زبن
علم المناسبات. / عبد المحسن بن زبن المطيري .- الرياض ، ١٤٤٠هـ
١٠٤ ص ؛ ..سم

ردمك: ٧-١-٩١٢٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- علوم القرآن أ.العنوان

ديوي ٢٢٠ ١٤٤٠/٤٦١٠

رقم الإيداع: ١٤٤٠/٤٦١٠
ردمك: ٧-١-٩١٢٠١-٦٠٣-٩٧٨

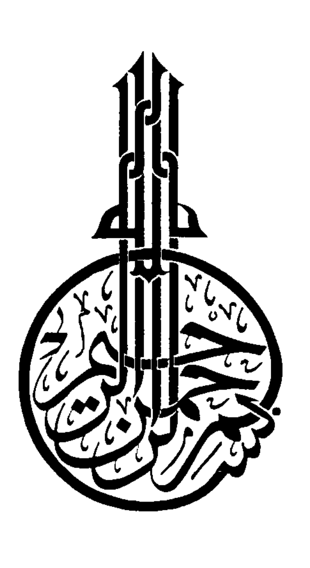
الإخراج الفنّي

التصميم الداخلي: هدوان بن حسن العَوَضي

تصميم الغلاف: عوض الرضي محمد نور



الرياض - حي المغرزات
٠١١٤٥٤٤٧٦٣
malem@tdabbor.com
٠٥٥٧٢٦١٩٩٩



مُقَدِّمَة

«الحمدُ للهِ ربِّ العالَمين، والعاقبةُ للمتَّقِين، ولا عُدْوانَ إلَّا على الظَّالِمين، وأشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وَحدَه لا شَريكَ لهُ، ربُّ العالَمِين، وإلهُ المُرسَلِين، وقَيُّومُ السَّماواتِ والأَرَضِين، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبدُه ورسُولُه المبعوثُ بالكتابِ المُبِين، الفارقُ بين الهُدى والضَّلال، والغَيِّ والرَّشاد، والشَّكِّ واليقين، أنزلَهُ لِنَقرأه تَدبُّرا، ونتأمَّلَه تبصُّرا، ونَسعَدَ به تذكُّرا، ونَحمِلَه على أحسنِ وُجوهِه ومعانيه، ونُصدِّقَ به ونَجتَهِدَ على إقامةِ أوامره ونواهِيه، ونَجتَنِيَ ثمارَ عُلومِهِ النَّافعةِ الموصلةِ إلى اللهِ سُبحانَه من أشجاره، ورياحينَ الحِكَمِ مِن بَينِ رِياضِه وأزهارِه، فهو كتابُه الدَّالُّ عليه لِمَن أرادَ مَعرفتَه، وطريقُه المُوصِلةُ لِسالِكِها إليه، ونُورُه المُبِينُ الَّذي أشرقتْ له الظُّلُمات، ورَحمتُهُ المُهداةُ الَّتي بها صَلاحُ جميعِ المخلوقات، والسَّبَبُ الواصلُ بينه وبين عِبادِه إذا انقطعت الأسباب، وبابُه الأعظمُ الَّذي منه الدُّخول، فلا يُغلَقُ إذا غُلِّقَت الأبواب، وهو الصِّراطُ المستقيمُ الَّذي لا تَمِيلُ به الآراء، والذِّكرُ الحكيمُ الَّذي لا تَزِيغُ به الأهواء، والنُّزُلُ الكريمُ الَّذي لا يَشبَعُ منه العُلماء.

لا تَفنى عَجائبُه، ولا تُقلِعُ سَحائبُه، ولا تَنقَضِي آياتُه، ولا تَختَلِفُ دِلالاتُه. كُلَّما ازدادت البصائرُ فيه تأمُّلًا وتفكيرا، زادَها هِدايةً وتَبصِيرا، وكلَّما بَجَسَت مَعِينَه فَجَرَ لها يَنابيعَ الحكمةِ تفجيرا، فهو نُورُ البصائرِ من عَماها، وشفاءُ الصُّدورِ من أدْوائها وجَواها، وحياةُ القلوب، ولَذَّةُ النُّفوس، ورِياضُ القلوب، وحادي الأرواح إلى بلادِ الأفراح، والمُنادي بالمساءِ والصَّباح: يا أهلَ الفَلاح، حَيَّ على الفَلاح. نادى مُنادِي الإيمانِ على رأسِ الصِّراطِ المُستقيم: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف:٣١]»[(١)].

(١) مقدِّمة مَدارِج السَّالِكين لابن القَيِّم ١/٢٧.

وبعدُ، فإنَّ أعظمَ العلومِ علومُ القرآنِ العظيم، فشَرفُ العلمِ بشَرفِ المَعلُوم، ولا أشرفَ من كلامِ اللهِ ﷻ، وعلى الأمَّةِ تِجاهَ كِتابِ ربِّها واجباتٌ محتُومة، وفَرائضُ مَعلُومة؛ ومِن واجباتِ الأمَّةِ نحوَ القُرآنِ تدبُّرُه[1]، كما قال ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢]، وقال: ﷻ ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤]، وهو الغايةُ الكبرى من إنزالِ القرآنِ، كما قال ﷻ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩].

ولقد كُنتُ كتبتُ كتابًا في مبادئِ علمِ التَّدبُّر، وذكرتُ فيه أنَّ مسائله ترجِع إلى أربعة أصول، هي:

١- علم المُناسَبات.

٢- قاعدة دِلالات الألفاظ.

٣- الوَحدة الموضوعيَّة للسُّورة.

٤- أثر علوم اللغة العربيَّة في التَّدبُّر.

وأريد في هذا البحث -إن شاء الله- أن أكتبَ في (علم المُناسبات)، وبيانِ أَثَرِه في تدبُّر القرآن.

---

(١) انظر: واجبات الأمَّة الخمسة نحو القرآن في كتاب: مبادئ تدبُّر القرآن الكريم، لراقمه ص ٥.

خُطَّة البحث

وقد قسَّمتُ البحث إلى قِسمَين: نظريٍّ، وتطبيقيٍّ، وقبلَهما تَمهيدٌ، وضمَّنتُ التَّمهيدَ والقسمَ النَّظريَّ المبادئَ العشَرةَ لعلمِ المُناسَبات، **فجاءت خُطَّة البحث على النَّحو الآتي:**

المقدِّمة.

التَّمهيد.

المطلب الأوَّل: المُناسَبات لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثَّاني: استمداده.

المطلب الثَّالث: نِسْبته.

المطلب الرَّابع: موضوعُ علمِ المُناسَبات.

الفصل الأوَّل (النَّظريُّ): تأصيلُ علمِ المُناسَبات:

المبحث الأوَّل: أوَّل من تكلَّم به.

المبحث الثَّاني: أوَّل من ألَّف فيه.

المبحث الثَّالث: أدِلَّةُ مشروعِيَّته.

المبحث الرَّابع: حُكمه.

المبحث الخامس: مسائلُه.

المبحث السَّادس: أهمِّيَّتُه.

المبحث السَّابع: ثَمَرتُه.

المبحث الثَّامن: حُكمُ ترتيبِ السُّوَر.

المبحث التَّاسع: قواعدُ في معرفة المُناسَبات.

الفصل الثَّاني (التَّطبيقيُّ): أنواع علم المُناسَبات:

المبحث الأوَّل: المُناسَبات في السُّوَر.

المبحث الثَّاني: المُناسَبات في الآيات.

المبحث الثَّالث: المُناسَبات في المتشابهات.

الخاتمة.

ثمَّ ذيَّلتُ البحثَ بقائمة المصادر والمُحتَوَيات.

والجديدُ في هذا البحث أمورٌ:

١- تأصيلُ علمِ المُناسَبات، وبيانُ أدِلَّته، وأصلُ مشروعِيَّتِه، وضوابطُه، ومبادِئُه.

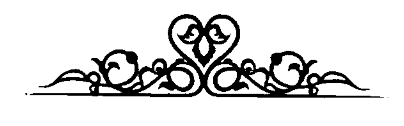
٢- محاولةُ حصرِ كلِّ أنواعِ المُناسَبات، وإرجاعُها إلى أصولها.

٣- بيانُ العَلاقةِ بين عِلم المُناسَبات وعلمِ التَّدبُّر.

وقد اجتهدتُّ في ترتيبه وتقسيمه، وهو جُهدُ المُقِلِّ، مع بِضاعةٍ مُزْجاةٍ، ومصادرَ شَحيحةٍ، ونسألُ اللهَ تعالى أن يفتحَ علينا من فضله، ويُوفِّقَ ويُسَدِّدَ، وأن يُصلِحَ النِّيَّاتِ والسَّرائرَ، ويَجعَلَهُ خالصًا لوجهِهِ الكريم.

وكتبها في شَعبانَ ١٤٣٨هـ

عبد المحسن بن زبن المطيري



التَّمهيد

المطلب الأوَّل: المُناسَبات لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثَّاني: استمداده.

المطلب الثَّالث: نسبته.

المطلب الرَّابع: موضوع علم المُناسَبات.

المطلب الأوَّل: المُناسَبات لغةً واصطلاحًا:

المُناسَبات لغة: جمع مُناسَبة، وهو مَصْدَر ناسَبَ يُناسِبُ مُناسَبةً. والمُناسَبةُ في اللغة: المُشابَهة والمُشاكَلةُ والمُقارَبةُ[1]، ومنه النَّسِيبُ: القَرِيبُ المُتَّصِلُ، كالأخَوَينِ وابنِ العَمِّ، ونَحوهم، ممَّن بينهم مناسبةٌ؛ أي: رابطة تَربِط بينهم، وهي القرابة.

وفي علم البلاغة: التَّناسُب: التَّرتيبُ للمعاني المتآخية الَّتي تتلاءم ولا تتنافر[2].

وفي الاصطلاح العامِّ: المناسبةُ هي عِلَّةُ التَّرتيب[3].

وفي اصطلاح المُفَسِّرين: عرَّفها ابنُ العربيِّ في كتابه سِراج المُرِيدِين بأنَّها: «ارتباط آيِ القرآن بعضِها ببعضٍ، حتَّى تكونَ كالكلمةِ الواحدة، مُتَّسِقةَ المعاني، مُنتَظِمةَ المباني»[4].

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ٣٢٤/٥، والصَّحاح، للجوهري ٢٤٥/٢.

(٢) انظر: معجم المفصَّل في علوم البلاغة، جمع وترتيب د. إنعام عَكَّاوي.

(٣) علم المناسبات، بازمول ص ٢٧.

(٤) سراج المريدين، نقلاً عن الإتقان ٣/ ٣٦٩.

وقال البِقاعيُّ: «عِلمٌ تُعرَفُ منه عِلَلُ تَرتيبِ أجزاءِ القرآن»[1].

وقيل: «هو الارتباطُ بين الآياتِ القرآنيَّةِ أو بين السُّوَرِ، لوجودِ أمرٍ يُقارِبُ بينها»[2].

وقيل: «هو المعنى الَّذي يَربِطُ بين سُوَرِ القرآنِ وآياته»[3].

«فعِلمُ المناسبةِ عِلمٌ يُعنَى بإبرازِ أوجُهِ الصِّلةِ وتَناسُبِ الآياتِ والسُّوَرِ. أو هو: معرفةُ مجموعِ الأصولِ الكُلِّيَّةِ والمسائلِ المتعلِّقةِ بعِلَل ترتيبِ أجزاءِ القرآنِ العظيم بَعضِها ببعض»[4].

أو «علمٌ يبحَثُ في المعاني الرَّابطة بين الآيات بعضِها ببعضٍ، وبين السُّوَر بعضِها ببعض، حتَّى تُعرَفَ عِلَلُ تَرتيبِ أجزاءِ القرآن الكريم»[5]، والتَّعريفاتُ متقاربةُ المعنى، كما هو ظاهر.

وبعضهم يسمِّي عِلمَ المُناسَبات: دَلالة الاقتِران، أو المُتجاورات، أو التَّلازُم، أو التَّرتيبات، أو الرَّوابط، كما سيأتي في أسماء المؤلَّفات في المباحث القادمة، بإذن الله.

---

(١) نظم الدُّرَر في تناسب الآيات والسُّور ٥/١.

(٢) علم المناسبات وأهمِّيَّته في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازه، لنور الدِّين عِتر ص ٦.

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن، للسُّيوطيِّ ٣٢٣/٢.

(٤) علم المناسبات، بازمول ص ٢٧.

(٥) مصابيح الدُّرر في تناسُب الآيات والسُّوَر، عادل أبو العُلا ص ١٨، بحث منشور في مجلَّة الجامعة الإسلاميَّة، العدد ١٢٩، عام ١٤٢٥هـ

المطلب الثَّاني: استمداده:

استمدادُ علمِ المُناسَبات من كتب اللغة، لا سِيَّما عِلمُ البلاغة؛ فقد عُنِي بذلك كثيرًا.

وطبَّق المفسِّرون قواعد المُناسَبات الَّتي استفادوها من علم البلاغة على القرآن الكريم؛ فأصبحت كتبُ التَّفسيرِ مصدرًا آخرَ من مصادر علم المُناسَبات.

وكتبُ علومِ القرآن عُنِيت تأصيلًا بعلم المُناسَبات، حتَّى أصبحت أحدَ مصادره المهمَّة أيضًا. قال في مصابيح الدُّرَر: «مادَّة هذا العِلم هي جميع ما يتعلَّق بالقرآن الكريم من بحوث جُزئيَّة، مِمَّا تعرَّض له الكاتبون في علوم القرآن، إلَّا أنَّ أكثر هذه البحوث لُصوقًا به ما تعلَّق منها بعلوم البلاغة العربيَّة والتَّذوُّق الأدبيِّ؛ نظرًا لأنَّها الرَّكيزةُ الأساسيَّةُ في تذوُّقِ كلامِ اللهِ، ومحاولةِ إدراكِ إعجازِه؛ ولذلك وجدتُّ أغلبَ من كَتبَ فيه من المتأخِّرين من المهتمِّين بهذه الجوانب الفنِّيَّة والأدبيَّة؛ لكونها أداةَ إدراكِ الإعجازِ الأولى»[1].

(١) مصابيح الدُّرَر، عادل أبو العُلا ص ١٩.

المطلب الثَّالث: نِسبتُه:

علم المُناسَباتِ من علوم اللغة العربيَّة، ثمَّ هو من علوم القرآن الكريم، وقد ازداد الاهتمامُ به مع تأخُّرِ الزَّمن، كعادة العلوم في ترقِّيها وبلوغها حدَّ نُضْجِها، فهو في أصله علمٌ من علوم البلاغة، والبلاغةُ من علوم اللغة العربيَّة، وعلومُ اللغات من العلوم الإنسانيَّة النَّظريَّة، ثمَّ أصبح من علوم القرآن.

المطلب الرَّابع: موضوع علم المُناسَبات:

علم المُناسَبات يبحث في كلام العرب بين كلِّ نظيرين، ولكنَّه اختصَّ بالقرآن الكريم بعد ذلك، فالمادَّة الَّتي يبحث فيها هي كتابُ الله تعالى. «فموضوع علم المناسبة هو آيات القرآن الكريم وسُوَرُه، من حيثُ بيانُ اتصالِها وتلاحُمِها، بما يُظهِر أجزاءَ الكلامِ مُتَّصلةً، آخذًا بعضُها بأعناقِ بعضٍ، مِمَّا يَقوَى بإدراكه إدراكُ الارتباطِ العامِّ بين أجزاء الكتاب الكريم، ويصيرُ حالُ التَّأليفِ الإلهيِّ كحالِ البناءِ المُحكَمِ المتناسقِ الأجزاء»(١).

(١) المرجع السَّابق ص ١٨.



الفصل الأوَّل (النَّظريُّ)

تأصيلُ عِلمِ المُناسَبات

المبحث الأوَّل: أوَّلُ من تكلَّم به.

المبحث الثَّاني: أوَّلُ من ألَّف فيه.

المبحث الثَّالث: أدِلَّةُ مشروعِيَّته.

المبحث الرَّابع: حُكْمُه.

المبحث الخامس: مسائلُه.

المبحث السَّادس: أهمِّيَّتُه.

المبحث السَّابع: ثَمَرتُه.

المبحث الثَّامن: حكمُ ترتيبِ السُّوَر.

المبحث التَّاسِع: قواعدُ في علمِ المُناسَبات.

المبحث الأَوَّل: أوَّل مَن تكلَّم به

أمَّا المُناسَبات كقضايا فرديَّة وتطبيقات عمليَّة، فقد جاءت عن النَّبيِّ ﷺ وعن أصحابه رضي الله عنهم أجمعين، وسنُفرد لذلك بحثًا، كما سيأتي، إن شاء الله.

وعن أوَّلِ مَن أظهرَ عِلمَ المناسبةِ ومكانتَه يقول صاحبُ (الإتقان):

«أوَّلُ مَن أظهرَ ببغدادَ عِلمَ المناسبة - ولم نكن سمعناه من غيره - هو الشَّيخ الإمام أبو بكر النَّيسابوريُّ[1]، وكان غزيرَ العلم في الشَّريعة والأدب، وكان يقول على الكرسيِّ إذا قُرِئَ عليه الآية: لِمَ جُعِلَتْ هذه الآيةُ إلى جنب هذه؟ وما الحكمةُ في جعل هذه السُّورة إلى جَنب هذه السُّورة؟ وكان يُزْري على عُلَماء بغدادَ لعدم عِلمِهم بالمناسبة»[2].

لكنَّ الصَّحيحَ أنَّ أوَّليَّةَ عِلم المناسبة القرآنيَّة غيرُ واضحة تمامَ الوضوحِ إلى الآن، ولا سِيَّما مع بقاء كثير من مصادر التَّفسير وعلوم القرآن مخطوطةً بعيدةً عن أيدي الباحثين، وهذه الأوَّليَّة أيضًا إنَّما هي باعتبار شدَّة العناية والتَّعليم؛ وإلَّا فالمتتبِّع لتفاسير السَّلف -حتَّى من الصَّحابة- يجدهم يتطرَّقون لبعض مسائل علم المُناسَبات في بعض المَواطِن، وإن كانت قليلةً، وسيأتي الحديثُ، إن شاء اللهُ، عن أوَّل المؤلَّفات فيها، وأنواعها.

(١) هو عبد الله بن محمَّد بن زياد، الأُمَويُّ، الشَّافعيُّ، إمام الشَّافعيِّيــنَ في عصره ببغداد، سمع بنَيسابور والعراق والشَّام ومصر والحجاز، جالسَ الرَّبيع والمُزنيَّ وتفقَّه بهما، وهما من أصحاب الشَّافعيِّ. تُوفِّي سنة ٣٢٤هـ سِيَر أعلام النُّبلاء ١٥/ ٦٥ - ٦٧.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، للسُّيوطيِّ ٣/ ٣٧٠.

المبحث الثَّاني: أوَّل من ألَّف فيه

كعادة العلوم في التَّرقِّي والتَّحرير والنُّضج؛ فقد مرَّ هذا العلم -بحسب استقرائي- بثلاثِ مَراحلَ في التَّأليف:

المرحلة الأولى: ذكر بعض الإشارات واللطائف في كتب التَّفسير، من غير اهتمام ورصد ومتابعة؛ مثلُ قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ۝٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [المائدة: ٩-١٠]. قال أهلُ المعاني: لَمَّا ذكرَ اللهُ الوعد لِمُؤمني أهل الكتاب ذكرَ الوعيد لِمَن كفَر منهم وكذَّب»[١].

المرحلة الثَّانية: الاعتناء به والحرص على ذكره فيما أمكن من المواضع، ولعلَّ كتاب (التَّفسير الكبير) للرَّازيِّ يمثِّل بداية هذه المرحلة. وكتاب (مفتاح الباب المُقْفَل على فَهم القرآن المُنْزَل)، لأبي الحسن علي بن أحمد الحَرَالِّي (ت ٦٣٧هـ)، وقد أكثر البِقاعيُّ النَّقل عنه[٢].

وكتاب (التَّحرير والتَّحبير لأقوال أئمة التَّفسير في معاني كلام السَّمِيع البصير)، المعروف بـ (تفسير ابن النَّقيب) (ت ٦٩٨)، قال البِقاعيُّ في وصفه: «وهو في نحو ستِّين مجلدًا، يذكر فيه المُناسَبات»[٣]. وكتاب (قَطف الأزهار في كشف الأسرار) للسُّيوطيِّ،

---

(١) التَّفسير البسيط، للواحديِّ (ت ٤٦٨هـ) ٧/٤٩٨.

(٢) نظم الدُّرَر ١/١٠.

(٣) نظم الدُّرَر ١/١٠.

ووصفه بأنه «كتاب في أسرار التَّنزيل، وبأنه جامع لمناسبات السُّوَر والآيات، مع ما تضمَّنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة»[1].

وممَّن اهتمَّ به أيضًا في تفسيره[2]:

(الكشَّاف) للزَّمَخْشَرِيِّ.

(البحر المحيط) لأبي حَيَّان.

(المُحَرَّر الوجيز) لابن عَطِيَّة.

(التَّحرِير والتَّنوير) لابن عاشور.

(في ظِلال القرآن) لسَيِّد قُطب.

(تفسير المنار) لمحمد رشيد رضا، وغيرها.

وقلَّ أن تجد كتابًا في التَّفسير لا يذكر شيئًا من هذه اللطائف المستنبطة من علم المُناسَبات.

المرحلة الثَّالثة: الإفراد بالتَّأليف:

ومنه كتاب:

١- البرهان في ترتيب سور القرآن[3]، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزُّبير الغَرناطيِّ (ت ٧٠٨هـ)، وهو لبيان مناسبة تعقيب السُّورة بالسُّورة فقط[4].

---

(١) انظر: قطف الأزهار في كشف الأسرار، للسيوطي ص ٩٨.

(٢) انظر: مصابيح الدُّرَر في تناسب الآيات والسُّور، فقد أكثر النَّقل عنه.

(٣) طبعته وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلاميَّة بالمغرب، عام ١٩٩٠ في مجلَّـد.

(٤) نظم الدُّرَر ٦/١.

وحامل راية هذا الباب الإمامُ البِقاعيُّ (ت ٨٨٥هـ) في كتابه:

٢- نظم الدُّرَر في تناسُب الآيات والسُّوَر[١].

واختصر البِقاعيُّ كتابه نظم الدُّرَر في كتاب سَمَّاه:

٣- دَلالة البُرهانِ القويمِ على تناسُب آيِ القرآنِ العظيم[٢].

ومن هذين الكتابين ألَّف كتابه الثَّالث في هذا الباب، وهو:

٤- مصاعد النَّظر، للإشراف على مقاصد السُّوَر.

وله أيضًا كتاب:

٥- إيقاف المُطالِع على اتِّفاق المقاطع والمَطالِع.

وللسُّيوطيِّ فيه عدَّة مؤلَّفات، وهي:

٦- مَراصد المُطالع في تناسُب المقاطع والمَطالع[٣].

٧- تناسق الدُّرَر في تناسب السُّوَر.

ثمَّ تتابَع التَّأليف فيه بعد هذا، ومن ذلك:

٨- كشف المعاني في المتشابه من المثاني، لابن جَماعة (ت ٧٣٣هـ)[٤].

٩- نهر النَّجاة في بيان مناسبات آيات أمِّ الكتاب، لساجقلي زاده المرشي (ت ١١٥٠ هـ)[٥].

١٠- دلائل النِّظام، لعبد الحميد الفراهيِّ (ت ١٣٤٩هـ).

---

(١) الطَّبعة التي بين يديَّ هي طبعة دار الكتاب الإسلاميِّ بالقاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ

(٢) ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدِّراسات، رقم الحفظ: ٤٧٢٤.

(٣) طُبع طبعاتٍ عدَّة، منها تحقيق د. عبد المحسن العسكر في دار المنهاج.

(٤) طبعته دار الوفاء بالمنصورة في مصر، واعتنى به عبد الجواد خلف، ط١، ١٤١٠هـ

(٥) ذكره المرعشليُّ في تحقيقه على البرهان للغُماريِّ.

١١- جواهر البيان في تناسب سور القرآن، للسَّيِّد عبد الله بن الصَّدِّيق الغُماريِّ[١] (ت ١٤١٣هـ).

١٢- التَّناسُب البيانيُّ في القرآن.. دراسة في النَّظْم المعنويِّ والصَّوتيِّ، لأحمد أبي زيد.

١٣- علم المُناسَبات في السُّوَر والآيات، لمحمد بازمول[٢].

١٤- الإعجاز البيانيُّ في ترتيب آيات القرآن، لمحمَّد أحمد القاسم.

١٥- التَّناسُب بين السُّوَر في المُفتَتَح والخواتيم، للدُّكتور فاضل السَّامرَّائيِّ، دار ابن الجوزيِّ.

١٦- علم المُناسَبات وأهمِّيَّته في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازه، لنور الدِّين عِتْر.

١٧- أسرار ترتيب القرآن، قراءة معاصرة، لعبد الله جلغوم، دار الفكر، ١٩٩٤.

١٨- معجزة التَّرتيب القرآنيِّ، طبعته جائزة دبي الدَّوليَّة، ٢٠٠٨.

١٩- رسالة ماجستير في جامعة ذمار، اليمن بعنوان «علم المُناسَبات القرآنيَّة في سورة مريم».

٢٠- مصابيح الدُّرر في تناسُب الآيات والسُّوَر، عادل أبو العُلا، بحث منشور في مجلَّة الجامعة الإسلاميَّة في ١٣٠ صفحة، العدد ١٢٩، عام ١٤٢٥هـ.

٢١- بين علم المناسبة والتَّفسير الموضوعيِّ للقرآن الكريم، دراسة منهجيَّة مُقارِنة، د. زهراء خالد العُبَيديُّ.

وغير ذلك من المؤلَّفات في القديم والحديث.

ويظهر ممَّا سبق أنَّ الاعتناء بالتَّأصيل في هذا العلم قليل، ولكنَّ الجانب التَّطبيقيَّ فيه كثير، فلا يكاد يؤلِّف عالم في التَّفسير إلَّا ألمَحَ له.

---

(١) طبعته مكتبة القاهرة، مصر.

(٢) الطَّبعة الأولى ١٤٢٣هـ، المكتبة المكِّيَّة بمكَّة المكرَّمة.

المبحث الثَّالث: أدِلَّة مشروعيَّته

أدِلَّة مشروعيَّة علم المُناسَبات هي من الكتاب والسُنَّة وأقوال الصَّحابة وغيرها من الأدِلَّة:

أوَّلًا: من القرآن الكريم:

١- قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ [الزُّمَر:٢٣].

والدِّلالة فيه من ثلاثة أوجُه:

(أحسن الحديث) وكونه أحسن الحديث فمعناه: أن يَشْمَل أبلغ الأساليب، ومنها المناسبة.

(متشابهًا) والتَّشابه من معاني المُناسَبات.

(مَثاني) أي: يُثنَى ويُكرَّر، وهذا له اتصالٌ وثيق بعلم المُناسَبات؛ لمعرفة مناسبة التَّكرار والفرق بين المتشابهات.

٢- قوله سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود:١]، ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [يونس:١]، ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [يس:٢]، ولا يتَّصف الكلام بالإحكام والحكمة إلَّا إذا كان بعضه حَسَن التَّأليف مع بعض، تامَّ التَّلاؤم والتَّناسق، وذلك يوجب أن يكون متآلفًا متناسبًا[١].

(١) علم المناسبات وأهمِّيَّته في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازه، لنور الدِّين عِتْر ص٧.

ثانيًا: من السُّنَّة:

١- حديثُ جابرٍ الطَّويلُ في الحجِّ، وفيه: (ثمَّ خرج من الباب إلى الصَّفا، فلمَّا دنا من الصَّفا قرأ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٥٨] فقال: أبدَأُ بِما بَدَأَ اللهُ بِهِ)[١]، وفي رواية النَّسائيِّ: (فابدَؤُوا بما بدأَ اللهُ به)[٢]، فراعى النَّبيُّ ﷺ ما بدأ الله ﷻ به، بل أمر بذلك، كما في رواية النَّسائيِّ، وهذا فيه مراعاة لمناسبة ترتيب المفردات، وهو أحد أنواع علم المُناسَبات.

٢- عن عبد الله رضي الله عنه قال: لَمَّا نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢] شقَّ ذلك على أصحاب النَّبيِّ ﷺ، وقالوا: أيُّنا لم يَلْبِس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنَّه لَيسَ بذاك، ألا تسمعون إلى قولِ لُقمانَ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]»[٣]، وهو يدخل في باب المُناسَبات المتشابهة معنًى.

٣- عن أبي أُمامة الباهليِّ، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: (اقرؤوا القرآنَ فإنَّه يأتي يَومَ القِيامةِ شَفِيعًا لأصحابِهِ. اقرؤوا الزَّهراوَينِ: البقرةَ، وسُورةَ آل عِمران؛ فإنَّهما تَأتيانِ يومَ القِيامةِ كأنَّهما غَمامَتانِ، أو كأنَّهما غَيايَتانِ، أو كأنَّهما فِرْقانِ من طَيْرٍ صَوافَّ، تُحاجَّانِ عن أصحابِهما...)[٤]. وقَرْن البقرةِ وآل عِمرانَ بالفضلِ والأمرِ بالقراءة يدلُّ على العَلاقة الوثيقة بينهما، وهو أصل علم المناسبات في العَلاقة بين السُّورتين.

٤- قال ﷺ: (مَن أخذَ السَّبْعَ الأُوَلَ مِن القرآنِ فهُوَ حَبْرٌ)[٥]، والحُكم على من أخذ السَّبعَ الأُوَلَ من القرآن -وهي السَّبع الطِّوال- بأنَّه عالم يدلُّ على العَلاقة بين هذه السُّورة في إكساب العلم، وهي المناسبة.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحجِّ، باب حَجَّة النَّبيِّ ﷺ، رقم (١٢١٨).

(٢) أخرجه النَّسائيُّ: كتاب مناسك الحجِّ، باب القول بعد ركعتي الطَّواف، رقم (٢٩٦٢).

(٣) أخرجه البخاريُّ: كتاب استتابة المرتدِّين، باب إثم من أشرك بالله، رقم (٦٩١٨).

(٤) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن، رقم (٢٥٢).

(٥) حسَّنه الألبانيُّ. انظر تخريجه في السِّلسلة الصَّحيحة ٣٨٥/٥، رقم (٢٣٠٥).

٥- قال ﷺ: (أُعطِيتُ مكانَ التَّوراةِ السَّبعَ الطِّوالَ، ومكانَ الزَّبُورِ المِئِينَ، ومكانَ الإنجيلِ المَثانيَ، وفُضِّلتُ بالمُفَصَّلِ)(١)، وهذا التَّقسيمُ لِسُور القرآن يدلُّ على أنَّ كلَّ قِسم له خصائص، وبينه مناسبة، كما أنَّ له فضلًا خاصًّا.

ثالثًا: آثار الصَّحابة:

١- عن حميد بن عبد الرَّحمن بن عوف أنَّ مروان، قال: اذهب يا رافع - لبوَّابه - إلى ابن عبَّاس، فقُلْ: لَئِنْ كان كلُّ امرئٍ منَّا فَرِحَ بما أَتَى، وأحبَّ أن يُحمَدَ بِما لم يَفعَل، مُعذَّبًا، لَنُعَذَّبَنَّ أجمعونَ(٢)! فقال ابن عبَّاس: ما لكم ولهذه الآية؟ إنَّما أُنزلت هذه الآيةُ في أهل الكتاب، ثمَّ تلا ابن عبَّاس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران:١٨٧] هذه الآية، وتلا ابن عبَّاس: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ [آل عمران:١٨٨]، وقال ابن عبَّاس: «سَألَهم النَّبيُّ ﷺ عن شيء فكتموه إيَّاه، وأخبروه بغيره، فخرجوا قد أرَوه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتَوا من كتمانهم إيَّاه، ما سألهم عنه»(٣). وفسَّر ابن عبَّاس ﷺ الآية بالآية الَّتي قبلها، وهو من قبيل المُناسَبات بين الآيات.

٢- عن مسروق، عن عائشة، ذُكر عندها ما يقطع الصَّلاة الكلب والحمار والمرأة، فقالت: «شبَّهتُمونا بالحُمُر والكِلاب! واللهِ لقد رأيتُ النَّبيَّ ﷺ يصلِّي وإنِّي على السَّرير بينه وبينَ القِبلةِ مُضْطَجِعة، فتَبدُو لي الحاجةُ، فأكرهُ أن أجلسَ؛ فأوذيَ النَّبيَّ ﷺ، فأنسَلُّ مِن عِندِ رِجلَيه»(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود الطَّيالسيُّ في مسنده برقم (١١٠٥)، والطَّحاويُّ في مُشكِل الآثار ٢/ ١٥٤، وصحَّحه الألبانيُّ. انظر تفصيل تصحيحه في السِّلسلة الصَّحيحة ٣/٤٦٩ رقم (١٤٨٠).

(٢) يعني قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ [آل عِمران: ١٨٨].

(٣) أخرجه مسلم: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، رقم (٢٧٧٨).

(٤) مُتَّفق عليه: البخاريُّ، كتاب الصَّلاة، باب من قال: لا يقطع الصَّلاةَ شيءٌ، رقم (٥١٤)، ومسلم: كتاب الصَّلاة، باب الاعتراض بين يدي المصلِّي، رقم (٢٧٠).

وهي تقصدُ حديث عبد الله بن الصَّامت، عن أبي ذَرٍّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قام أحدُكم يُصَلِّ، فإنَّه يَستُرُهُ إذا كانَ بَينَ يَدَيهِ مِثلُ آخرةِ الرَّحْلِ، فإذا لم يَكُن بينَ يَدَيهِ مِثلُ آخرةِ الرَّحْلِ؛ فإنَّهُ يَقطَعُ صَلاتَهُ الحِمارُ، والمرأةُ، والكَلبُ الأسود». قلت: يا أبا ذَرٍّ، ما بالُ الكلبِ الأسودِ من الكلبِ الأحمرِ من الكلبِ الأصفرِ؟ قال: يا بنَ أخي، سألتُ رسولَ اللهِ ﷺ كما سألتَني، فقال: «الكلبُ الأسودُ شَيطان»[1].

فعائشةُ ﵂ فهمَت من عطف المرأةِ على الحمارِ والكلبِ وجودَ مناسبةٍ بين هذه المعطوفات وتشابُه، وهذا يدلُّ على أصل علم المُناسَبات، وهو أنَّ المعطوفاتِ بينها مناسبةٌ، سواء كانت مفرداتٍ أو جُمَلًا أو آياتٍ أو سُوَرًا[2].

٣- «قال محمَّد بن إسحاق بن يَسار، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن بعجة بن عبد الله الجُهَنيِّ قال: تزوَّج رجل منَّا امرأة من جُهَينة، فوَلَدت له لِتَمامِ ستَّة أشهُر، فانطلق زوجها إلى عثمان، فذكر ذلك له، فبعث إليها، فلما قامت لتلبَس ثيابها بكت أختها، فقالت: ما يُبكيكِ؟! فوالله ما التبسَ بي أحدٌ من خلقِ اللهِ غَيرَه قطُّ، فيقضي اللهُ فيَّ ما شاءَ، فلما أُتِيَ بها عُثمانُ أمر برجمها، فبلغ ذلك عليًّا فأتاه، فقال له: ما تَصنعُ؟ قال: ولدت تمامًا لستَّة أشهُر، وهل يكون ذلك؟ فقال له عليٌّ: أما تقرأ القرآن؟ قال: بلى! قال: أما سمعتَ الله يقول: ﴿وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ﴾ [الأحقاف:١٥] وقال: ﴿يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ﴾ [البقرة:٢٣٣] فلم نَجِده بقي إلَّا ستَّةُ أشهر. قال: فقال عثمان: والله ما فَطَنتُ لهذا، عليَّ بالمرأة؛ فوجدوها قد فُرِغَ منها. قال: فقال بعجةُ: فواللهِ ما الغرابُ بالغرابِ،

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصَّلاة، باب قَدْر ما يستر من المصلِّي، رقم ٢٦٥.

(٢) وهي ﵂ لا تُنكر حديث النَّبيِّ ﷺ، ولكنْ إمَّا أنَّها لم يبلغها الحديث عن النَّبيِّ ﷺ، فظنَّته اجتهادًا من بعض الصَّحابة، أو أنَّها ترى أنَّ المقصود بالحديث نقص الصَّلاة لا إبطالها. انظر شرح صحيح مسلم للنَّوويِّ ٤/٢٢٧.

ولا البيضةُ بالبيضةِ بأشبَهَ منه بأبيه، فلما رآه أبوه قال: ابني، إنِّي واللهِ لا أشُكُّ فيه. رواه ابن أبي حاتم»[1].

قال ابن كَثِير معلِّقًا بعدما نقل الأثر السابق: «وهو استنباط قويٌّ صحيح»، وهو من باب مناسبة الآيات المتشابهة معنًى.

٤- عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة، أنَّ أبا عمرو بن حفص بن المغيرة، خرج مع عليِّ بن أبي طالب إلى اليمن، فأرسل إلى امرأته فاطمةَ بنت قيس بتطليقةٍ كانت بقيَت من طلاقها، وأمر لها الحارث بن هشام، وعيَّاش بن أبي ربيعة بنفقة، فقالا لها: والله ما لكِ نفقةٌ إلَّا أن تكوني حاملًا، فأتت النَّبيَّ ﷺ، فذكرت له قولهما، فقال: «لا نفقةَ لكِ»، فاستأذنته في الانتقال، فأذن لها، فقالت: أينَ يا رسولَ اللهِ؟ فقال: «إلى ابنِ أمِّ مَكتومٍ» وكان أعمى، تضعُ ثيابها عنده ولا يراها، فلمَّا مضَت عِدَّتُها أنكَحَها النَّبيُّ ﷺ أسامةَ بن زيد، فأرسل إليها مروانُ قبيصةَ بن ذؤيب يسألها عن الحديث، فحدَّثته به، فقال مروان: لم نسمع هذا الحديث إلَّا من امرأة، سنأخذ بالعصمة الَّتي وجدنا النَّاس عليها، فقالت فاطمة حين بلغها قول مروان: فبَيني وبينكم القرآن. قال الله ﷻ: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ [الطلاق:١] إلى قوله، ﷻ: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق:١] الآية. قالت: «هذا لِمَن كانت له مراجعةٌ، فأيُّ أمرٍ يحدث بعد الثَّلاث؟ فكيف تقولون: لا نفقةَ لها إذا لم تكن حاملًا؟ فعلام تَحبِسونها؟»[2]. فاستدلَّت بآخر الآية على أنَّ أوَّلها مقصود به الرَّجعيَّة، وهو يدخل في مناسبة الآية مع آخرها.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ١٠/ ٣٢٩٣ برقم (١٨٥٦٦).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الطَّلاق، باب المطلَّقة ثلاثًا لا نفقة لها، رقم (١٤٨٠).

٥- سور الحواميم: ويسمِّيها بعض الصَّحابة (آل حم)[١]، وهي السُّوَر الَّتي تبدأ بـ(حم)، وتسميتُها بهذا الاسم، وبدايتها كلُّها بهذين الحرفين، ومجيئُها متتاليةً مرتَّبةً، وتخصيصها بفضل خاصٍّ[٢]؛ يدلُّ على أنَّ فيما بينها مناسبةً وعَلاقة.

٦- ومن الأدلَّة على وجود هذا العلم عند الصَّحابة: ما روى عبد الرزَّاق بإسناده عن ابن مسعود ﷺ أنَّه قال: «إذا سأل أحدكم صاحبَه كيف يقرأ آيةَ كذا وكذا، فَلْيَسَلهُ عمَّا قبلها»[٣]. في إشارة منه إلى أنَّ ما قبلها يدلُّه على تحديد لفظها، بما تدعو إليه المناسبة.

٧- ومنها ما رُوي عن أبي سعيد الخُدْريِّ ﷺ أنَّه حدَّث أنَّ قومًا يدخلون النَّار ثمَّ يخرجون منها، فقالوا له: أوَلَيسَ اللهُ تعالى يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة:٣٧]؟ فقال لهم أبو سعيد: اقرؤوا ما فوقها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة:٣٦][٤]، وفيه تنبيهٌ لهم إلى مراعاة السِّياق، حتَّى لا يضلُّوا في فهم القرآن المجيد، ويَضرِبوا بعض آياته ببعض، ووجه المناسبة فيه ظاهرة.

---

(١) مُتَّفق عليه: البخاريُّ: كتاب فضائل القرآن، باب التَّرتيل في القرآن، رقم (٥٠٤٣)، مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ترتيل القراءة، واجتناب الهذِّ، وهو الإفراط في السُّرعة، وإباحة سورتين فأكثر في ركعة، رقم (٨٢٢)، وفي رواية أخرى للبخاريِّ: وآخرهنَّ الحواميم: كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، رقم (٤٩٩٦).

(٢) أخرج الحاكم في مستدركه ٤٧٤/٢ عن عبد الله بن مسعود ﷺ: «الحواميم ديباج القرآن»، وفي سُنن الدَّارميِّ ٢١٥٢/٤؟ عن سعد بن إبراهيم، قال: «كُنَّ الحواميمُ يُسَمَّين العَرائسَ».

(٣) مُصنَّف عبد الرَّزَّاق (٥٩٨٨).

(٤) أخرجه ابن مَرْدوَيْهِ وابن أبي حاتم، فيما ذكر ابن كثير في تفسيره عند تفسير الآيتين ٣٦ و ٣٧ من سورة المائدة، ولكنْ من حديث جابر بن عبد الله.

٨- ومنها ما رُوي عن مسلم بن يَسار، التَّابعيِّ الجليل رحمه الله، أنَّه قال: إذا حدَّثتَ عن الله حديثًا فقِفْ حتَّى تنظرَ ما قبله وما بعده»[١].

رابعًا: الإجماعات:

من المُسلَّمات أنَّ الاستدلال لا بُدَّ فيه من جمع النُّصوص وحشد الأدلَّة، وهو نوعٌ من أنواع المناسبة، وذلك لتشابه هذه الأدلَّة في معرفة الحُكم.

أجمع العلماء على أن ترتيب الآيات توقيفيٌّ[٢]، وإنَّما اختلفوا في حُكم ترتيب السُّوَر، والصَّحيح فيه أنَّ ترتيب السُّوَر توقيفيٌّ أيضًا، وستأتي الأدلَّة على ذلك.

وجمع النُّصوص في الاستدلال يدخل في علم المُناسَبات المتشابهات في المعنى، وترتيب الآيات يدلُّ على أنَّ ترتيبها في كلماتها وجُملها وآياتها مقصود من الله ﷻ، والمناسبة إنَّما تكون للبحث عن مَقصِد هذا التَّرتيب، وترتيب السُّوَر يدلُّ على أنَّ هناك علاقةً بين هذه السُّوَر في ترتيبها، فإذا كان ترتيب الآيات والسُّوَر توقيفيًّا؛ فالله تعالى هو الَّذي جعل القرآن العظيم على هذا التَّرتيب، والله ﷻ لا يفعل شيئًا عبثًا، سبحانه، بل لحكمةٍ بالغة، ومعجزةٍ باهرة.

الإجماع العمليُّ من العلماء والمفسرين خاصَّة على استعماله، فلا يُعرف إنكار هذا العلم صراحة إلَّا من الإمام الشَّوكانيِّ رحمه الله[٣]، وهو متأخِّر، وإنَّما جاء عن بعض العلماء تقيُّده بضوابط، مثل العزِّ بن عبد السَّلام[٤]، ووضع الضَّوابط أمرٌ مُهمٌّ، وبعضهم يردُّ التَّناسُب إذا كان فيه تكلُّف ظاهر، ولكنَّه لا ينكر العلم كلَّه.

---

(١) مصابيح الدُّرَر ص ٢٠. والحديث أخرجه ابن أبي شيبة ٢٣١/٧، وأبو نعيم في الحِلْية ٢٩٢/٢.

(٢) انظر: إعجاز القرآن، للباقلانيِّ ص ٦٠، الإتقان في علوم القرآن ١/ ٢١١.

(٣) وقد فصَّل د. نور الدِّين عِترْ في الرَّدِّ على كلِّ الشُّبهات في كتابه الماتع: علم المناسبات وأهمِّيَّته في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازه ص ٨ - ٢٠.

(٤) انظر: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع الإعجاز، للعزِّ بن عبد السَّلام ص ٢٢١.

خامسًا: الأدلَّة الأخرى:

١- من أنواع إعجاز القرآن الكريم: الإعجاز اللغويُّ البيانيُّ، ومن إعجازه استخدامُ أرقى الأساليب البيانيَّة، ومنها: التَّناسُب والتَّناسُق بين آياته وسوره، لأنَّ حُسنَ تآلف الكلام وتناسُبَه مِمَّا يَحسُنُ به كلام البلغاء ويسمو، فلا بُدَّ إذن من أن يكونَ البيانُ القرآنيُّ مراعيًا للتَّآلف والتَّرابط الَّذي يناسب سموَّ إعجازه وبيانه، «ولا زلنا نرى دارسي الأدب يُعنَونَ بإبراز تناسب أبيات القصيدة، وارتباطِ أغراضها ببعضها، وحُسنِ انتقالِ الشَّاعر أو الكاتب من غرضٍ إلى غرض بما يَصُون كلامه عن التَّفكُّك وعدم الانسجام، فكيف لا يُراعى ذلك في أفصح الكلام وأبلغ نظام!»[1].

٢- القول بأنَّ آياتِ القرآن ليس بينها تناسبٌ اتِّهامٌ خطير، إذ يَلزَم صاحبَ هذا القول أن يقول: إنَّ القرآن ليس له موضوع مُحدَّد، ولا يجري في نَسَق، ولا يتحدَّث في سياق واحد! وهذا يُنزَّه عنه حُسن الحديث، فضلًا عن أحسنه.

٣- الأعرابُ هم مَنبعُ اللغة والأصل في فهمها، ومواقفهم مع القرآن تدلُّ على أنَّ التَّناسُب في سليقتهم العربيَّة أمرٌ ظاهر معمول به؛ ففي قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة:٣٨]. قال الأصمعيُّ: قرأتُ هذه الآية وإلى جنبي أعرابيٌّ، فقلتُ: (والله غفورٌ رحيم) سهوًا، فقال الأعرابيُّ: كلامُ مَن هذا؟ قلتُ: كلامُ الله. قال: أعِدْ. فأعدتُ: (واللهُ غفورٌ رحيمٌ). فقال: ليس هذا كلامَ اللهِ! فتنبَّهتُ، فقلتُ: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٨]. فقال: أصبتَ، هذا كلامُ الله، فقلتُ له: أتقرأُ القرآنَ؟ قال: لا، قلت: فمن أين علِمتَ أنِّي أخطأتُ؟ فقال: يا هذا! عَزَّ فحكَمَ فقطَعَ، ولو غَفَرَ ورَحِمَ لَمَا قَطَع[2].

---

(١) علم المناسبات، لنور الدِّين عِتر ص١٢.

(٢) زاد المسير، لابن الجوزيِّ ١/٥٤٦.

وفي قوله ﷻ: ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٠٩]؛ «رُوي أنَّ قارئًا قرأ: (غفورٌ رحيمٌ). أي: بدل ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٠٩]. فسمعه أعرابيٌّ فأنكره! ولم يكن يقرأ القرآن، وقال: إن كان هذا كلامَ الله، فلا يقول كذا الحكيمُ، لا يذكر الغفران عند الزَّلل؛ لأنَّه إغراء عليه. وقد رُوي عن كعب نَحوُ هذا، وأنَّ الَّذي كان يتعلَّم منه أقرأه: (فاعلموا أنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ)، فأنكره حتَّى سمع: ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٠٩] فقال: هكذا ينبغي!»[١].

وهذا كُلُّه من باب مناسبة الآية بخاتمتها، ويدلُّ على أنَّ العرب تعرف هذه الدَّلالة وتحتفي بها.

٤- دَلالة السِّياق: وهي من الأدلَّة المعتبرة عند عامَّة المفسِّرين[٢]، ويسمِّيها البعض (دَلالة السِّباق واللَّحاق)[٣]، والسِّياق إنَّما هو معرفة أثر السَّابق باللاحق، وهي من أنواع المُناسَبات، كما هو ظاهر، قال الشَّاطبيُّ رحمه الله: «إذا ورد في القرآن التَّرغيب قارنه التَّرهيب في لواحقه أو سوابقه أو قرائنه، وبالعكس، وكذلك التَّرجية مع التخويف، وما يرجع إلى هذا المعنى مثله، ومنه: ذكر أهل الجنة يقارنه ذكر أهل النَّار، وبالعكس؛ لأنَّ في ذكر أهل الجنة بأعمالهم ترجية، وفي ذكر أهل النَّار بأعمالهم تخويفًا، فهو راجع إلى التَّرجية والتَّخويف، ويدلُّ على هذه الجملة: عرض الآيات على النَّظر...»[٤]. ويقول أيضًا:

---

(١) مفاتيح الغيب أو التَّفسير الكبير ٥/ ٣٥٦، فخر الدِّين الرَّازيُّ.

(٢) انظر: كتاب السِّياق القرآنيّ وأثره في تفسير المدرسة العقليَّة الحديثة، للدُّكتور سعد بن محمَّد الشَّهرانيِّ، من مطبوعات كرسيِّ القرآن وعلومه في جامعة الملك سُعود، الرِّياض، ط١، ١٤٣٦هـ.

(٣) أُلِّفت في ذلك رسائل عدَّة، منها: أثر السِّياق القرآنيِّ في التَّرجيح بين المعاني، لوضَّاح العزَّاويِّ، ودَور السِّياق في التَّرجيح بين الأقاويل التَّفسيريَّة، لمحمَّد عروي، وغيرها.

(٤) الموافقات، للشاطبي ٤/١٦٧.

«لا بُدَّ من ردِّ آخر الكلام على أوَّله، وأوَّله على آخره؛ وإذ ذاك يَحصُل مقصود الشَّارع في فهم المُكلَّف»[1]. ويقول الزَّركشيُّ عن النَّظم والسِّياق: «هو من أعظم القرائن الدَّالَّة على مُراد المتكلِّم، فمَن أهمله غَلِط في نظيره، وغالط في مناظراته»[2]. ويقول ابن تيميَّة: «ينظر في كلِّ آية بخصوصها وسياقها وما يُبيِّن معناها؛ فهذا أصل عظيم مُهِمٌّ نافع في باب فهم الكتاب والاستدلال به مطلقًا، ونافع في معرفة الاستدلال والاعتراض والجواب، وطرد الدَّليل ونقضه، فهو نافع في كلِّ علم خبريٍّ أو إنشائيٍّ، وفي كلِّ استدلال أو معارضة من الكتاب والسُّنَّة، وفي سائر أدلَّة الخَلْق»[3].

٥- دَلالة الاقتران: «وهي أن يُجمَع بين شيئين أو أشياء في الأمر أو النَّهي، ثمَّ يُبَيَّن حُكمُ أحدهما، فيُستَدَلُّ بالقرآن على ثبوت ذلك الحكم للآخر»[4].

وهي من الدَّلالة المعتبَرة عند كثير من الأصوليِّين؛ إذ إنَّ العطف موجبٌ للاشتراك بين المعطوف والمعطوف عليه في الحكم، أو في المعنى أو في الصِّفة[5]، فقد استدلَّ الإمام مالك رحمه الله، على سقوط الزَّكاة في الخيل بقوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٨] فقَرَنَ الخيلَ والبغالَ والحميرَ؛ إذ لا زكاةَ في البغال والحمير إجماعًا. قال: فكذلك الخيل[6]، «واحتجَّ الإمام الشَّافعيُّ على وجوب العُمرة بقوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ ﴾ [البقرة:١٩٦]. قال البَيهَقيُّ:

(١) الموافقات ٤/٢٦٧.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٢/ ٢٠٠.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة ٦/١٨.

(٤) انظر: تشنيف المسامع بجمع الجوامع، للزَّركشيِّ ٢/٧٥٩ بتصرُّف يسير.

(٥) انظر: دلالة الاقتران ووجه الاحتجاج بها عند الأصوليِّين، لأبي عاصم المصريِّ.

(٦) البحر المحيط في أصول الفقه، للزَّركشيِّ ٨/ ١٠٩.

قال الشَّافعيُّ: الوجوب أشبه بظاهر القرآن، لأنَّه قَرَنَها بالحجِّ»[1].

ودلالة الاقتران دَلالة صحيحة بضوابط، وهي:

١- إن كانت في مَحَلِّ الحكم فلا إشكال في الاحتجاج بها، ولا يُعتَبر من دَلالة الاقتران، بل هو من دَلالة المنطوق الصَّريحة، مثل الاستدلال بوجوب إتمام الحجِّ والعمرة لمن شرع فيهما، لقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٦]، وأمَّا الاستدلال بالآية على وجوب أصل العمرة لاقترانها بالحجِّ، فهو من باب دَلالة الاقتران، لأنَّه ليس في مَحَلِّ الحكم.

٢- إن كانت في غير محلِّ الحكم؛ فيُنظَر: هل دلَّ الدَّليل على عدم اعتباره؟ مثل الاستدلال بقرن الخيل بالبغال والحمير على تحريم أكلها من قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٨]، فقد ذهب مالك، وهو المشهور عند الحنفية، إلى تحريم لحوم الخيل؛ لأنَّها قُرنت بالبغال والحمير[2]، وهذا الاستدلال مخالف لما في الصَّحيحين من حديث أسماء بنت أبي بكر ﷺ: «نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فرسًا فأكلناه»[3].

٣- عند تعدد الجُمل واستقلال كلِّ واحدة منهما بنفسها يضعف الاستدلال بدلالة الاقتران[4]، كقوله ﷺ: (لا يَبُولَنَّ أحدُكُم في الماءِ الدَّائمِ، ولا يَغتَسِلْ فِيهِ مِن الجَنابةِ)[5].

(١) السَّابق ٨/ ١١١.

(٢) دلالة الاقتران ووجه الاحتجاج بها عند الأصوليّين ص ٤٤.

(٣) مُتَّفق عليه: البخاريُّ، كتاب الذَّبائح والصَّيد، باب النَّحر والذَّبح، رقم (٥٥١٠) واللفظ له، ومسلم: كتاب الصَّيد والذَّبائح وما يؤكل من الحيوان، باب في أكل لحوم الخيل، رقم (١٩٤٢).

(٤) بدائع الفوائد، لابن القيِّم ٤/١٨٣- ١٨٤.

(٥) مسلم: كتاب الطَّهارة، باب النَّهي عن البول في الماء الرَّاكد، رقم (٢٨٢)، سنن أبي داود: كتاب

٤- فإذا كانت في غير مَحَلِّ الحُكم ولا دليلَ يعارضها، وليست من عطف الجمل المستقلَّة، فهي حُجَّة. قال الإمام ابن القَيِّم في بدائع الفوائد: «دَلالة الاقتران تَظهَر قُوَّتُها في مَوطِن، وضَعفُها في موطِن، وتساوي الأمرين في مَوطِن، فإذا جَمَعَ المُقتَرِنَين لفظٌ اشتركا في إطلاقه، وافترقا في تفصيله قَوِيَت الدَّلالةُ»[1].

ومن الأمثلة المستوفية للشُّروط في دَلالة الاقتران: الاستدلال على فضل أهل العلم بقوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨]. «وفي ضمن هذه الشَّهادة الإلهيَّة الثَّناء على أهل العلم الشَّاهدين بها وتعديلهم، فإنَّه -سبحانه- قَرَنَ شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، واستشهد بهم، جلَّ وعلا، على أَجَلِّ مشهود به، وجعلهم حجَّة على مَن أنكر هذه الشَّهادة، كما يحتجُّ بالبيِّنة على من أنكر الحقَّ، فالحُجَّة قامت بالرُّسل على الخلق، وهؤلاء نُوَّاب الرُّسُل وخلفاؤهم في إقامة حُجَج الله على العِباد»[2].

ولشيخ الإسلام ابن تيميَّة بحث لطيف في الاستدلال لأثر التَّقوى على العلم بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ﴾ [البقرة:٢٨٢]. فبعضُهم يستدلُّ بهذه الآية على أنَّ من يتَّقي الله يعلِّمه الله، وعلى هذا جمهور المفسِّرين، ولكنَّ اللغويِّين يأبَون ذلك، لأنَّ كلمة (يعلِّمكم) جاءت مرفوعة، ولو كانت جوابًا لكانت مجزومة (يُعلِّمْكُم)[3].

الطَّهارة، باب البول في الماء الرَّاكد، رقم (٧٠) واللفظ له.

(١) بدائع الفوائد ١٨٣/٤ـ ١٨٤.

(٢) مدارج السَّالكين، لابن القَيِّم ٤٣٨/٣.

(٣) قال الإمام ابن القَيِّم في مفتاح دار السَّعادة ١٧٢/١: «وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ فليس من هذا الباب، بل هما جملتان مستقلَّتان: طلبيَّة، وهي الأمر بالتقوى، وخبريَّة، وهي قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾. أي: والله يعلِّمكم ما تتَّقون، وليست جوابًا للأمر بالتَّقوى، ولو أريد بها الجزاء لأتى بها مجزومة مجرَّدة من الواو، فكان يقول: واتَّقوا الله يعلِّمكم. أو: إن تتَّقوه يعلِّمْكم،

قال ابن تيميَّة: «وقد شاع في لسان العامَّة أنَّ قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة:٢٨٢] من الباب الأوَّل؛ حيث يستدلُّون بذلك على أنَّ التَّقوى سبب تعليم الله، وأكثر الفضلاء يطعنون في هذه الدِّلالة، لأنَّه لم يربط الفعل الثَّاني بالأوَّل ربط الجزاء بالشَّرط؛ فلم يقل: واتَّقوا الله ويعلِّمْكم. يعني بسكون الميم، ولا قال: فيعلِّمكم، وإنَّما أتى بواو العطف، وليس من العطف ما يقتضي أنَّ الأوَّل سبب الثَّاني. وقد يقال: العطف قد يتضمَّن معنى **الاقتران والتَّلازم**، كما يقال: زُرْني وأزورُك؛ وسَلِّم علينا ونسلِّم عليك، ونحو ذلك مِمَّا يقتضي اقتران الفعلين، والتعاوض من الطَّرفين، كما لو قال لسيِّده: أعتقني ولك عليَّ ألف. أو قالت المرأة لزوجها: طلِّقني ولك ألف. أو: اخلعني ولك ألف، فإن ذلك بمنزلة قولها: بألف أو عليَّ ألف. وكذلك أيضًا لو قال: أنت حرٌّ وعليك ألف. أو أنتِ طالقٌ وعليكِ ألفٌ، فإنَّه كقوله: عليَّ ألفٌ أو بألف عند جمهور الفقهاء، والفرق بينهما قول شاذٌّ. ويقول أحد المتعاوضين للآخر: أعطيك هذا وآخذ هذا، ونحو ذلك من العبارات، فيقول الآخر: نعم، وإن لم يكن أحدهما هو السَّبب للآخر دون العكس، فقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة:٢٨٢] قد يكون من هذا الباب، فكلٌّ مِن تعليم الرَّبِّ، وتقوى العبد يقارب الآخر ويلازمه ويقتضيه، فمتى علَّمه اللهُ العلمَ النَّافع اقترنت به التَّقوى بحسب ذلك، ومتى اتَّقاه زاده من العلم، وهلُمَّ جرًّا»[1]، وهي فائدة نفيسة من هذا الإمام الكبير رحمه الله؛ إذ صحَّح الاستدلال بها من باب المناسبة لا من باب الشَّرط وجوابه.

وإنَّ المنكرين لعلم المُناسَبات ليس لهم إلَّا ثلاثة أدلَّة عقليَّة[2]:

١- لا يوجد دليل على مشروعيَّته.

٢- أنَّ القرآن الكريم نزل مُنجَّمًا، وما كان كذلك لا تتأتَّى فيه المناسبة.

كما قال: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]».

(١) مجموع الفتاوى ١٨/١٧٨.

(٢) انظر: علم المناسبات وأهمِّيَّته في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازه ص ٨.

٣- أنَّ فيه تكلُّفًا.

والجواب على ذلك:

١- الجواب على الشُّبهة الأولى: فقد تقدم معنا الأدلَّة الكثيرة من الكتاب والسُّنَّة والإجماع وأقوال السَّلَف على مشروعيَّته.

٢- والجواب على الشُّبهة الثَّانية: ما نقله الزَّركشيُّ رحمه الله، عن بعض مشايخه المحقِّقين: «قد وَهِمَ مَن قال: لا يُطلب للآيِ الكريمةِ مناسبةٌ؛ لأنَّها على حسب الوقائع المتفرِّقة! وفصلُ الخطاب: أنَّها على حسب الوقائع تنزيلًا، وعلى حسب الحكمة ترتيبًا؛ فالمصحف كالصُّحف الكريمة على وَفْقِ ما في الكتاب المكنون، مُرتَّبة سُوَرُه كلُّها وآياته بالتَّوقيف، وحافظُ القرآن العظيم لو استُفتي في أحكام متعدِّدة، أو ناظرَ فيها، أو أملاها؛ لذكرَ آيةَ كلِّ حُكم على ما سُئل، وإذا رَجَعَ إلى التِّلاوة لم يَتْلُ كما أفتى، ولا كما نزل مفرَّقًا، بل كما أُنزِلَ جُملةً إلى بيت العزَّة، ومن المُعجِز البيِّن أسلوبُه ونظمُه الباهرُ، فإنَّه ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١]»[١].

٣- والجواب على الإشكال الثَّالث: أنَّ التَّكلُّف مرفوض، ومن شروط المناسبة، ألَّا تكون متكلِّفة متعسِّفة، ولكنَّ مثل هذا لا يلغي أصل العلم.

والعجيب أن الشَّوكانيَّ رحمه الله، وهو حامل لواء المنكرين لعلم المُناسَبات، يذكر بعض المُناسَبات في تفسيره، فلعلَّه رَجَعَ عن قوله، أو نسي، أو أنَّه يقصد نوعًا محدَّدًا، ومن ذلك على سبيل المثال:

أ- في قوله تعالى: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾ [الروم: ١٧-١٩]. قال: «**ووجهُ تَعلُّقِ هذه الآيةِ**

(١) البرهان، للزَّركشيِّ ٣٧/١.

بالتي قبلَها: أنَّ الإنسان عند الصَّباح يخرج من شبه الموت، وهو النوم، إلى شبه الوجود، وهو اليقظة، وعند العشاء يخرج من اليقظة إلى النوم. ﴿وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ [الروم:١٩]. أي: يحييها بالنَّبات بعد موتها باليَباس، وهو شبيه بإخراج الحيِّ من الميِّت، ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾ [الروم:١٩]. أي: ومثل ذلك الإخراج تخرجون من قبوركم»[1].

ب- «قوله: ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾[الأعراف:١٧]. ذكَرَ الجهاتِ الأربعَ لأنَّها هي الَّتي يأتي منها العدوُّ عدوَّه، ولهذا ترك ذكرَ جهة الفوق والتَّحت، وعُدِّيَ الفعلُ إلى الجهتين الأُولَيَين بـ(من)، وإلى الأُخرَيَينِ بـ(عن)، لأنَّ الغالب فيمَن يأتي من قُدَّام وخَلف أن يكون متوجِّهًا إلى ما يأتيه بكُلِّيَّةِ بدَنِه، والغالب فيمَن يأتي من جهة اليمين والشَّمال أن يكونَ منحرفًا؛ فناسبَ في الأُولَيَينِ التَّعدِيَةُ بحرف الابتداء، وفي الأُخرَيَينِ التَّعديةُ بحرف المجاورة»[2].

ج- «﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء:١٧٧]. لم يقل: (أخوهم) كما قال في الأنبياء قبله؛ لأنَّه لم يكن من أصحاب الأيْكة في النَّسب، فلما ذكر مَدْيَن قال: ﴿أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا﴾ [هود:٨٤]، لأنَّه كان منهم»[3].

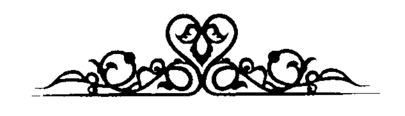
وغيرها من المواضع.

---

(١) فتح القدير للشَّوكانيّ ٤/٢٥٢.

(٢) فتح القدير للشَّوكانيّ ٢/٢١٩.

(٣) فتح القدير للشَّوكانيّ ٤/١٣٣.



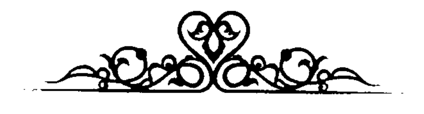
المبحث الرَّابع: حُكمه

علم التَّناسُب من العلوم الشَّرعيَّة المختصَّة بالقرآن، وبيان أنواعٍ من إعجازه البيانيِّ والبلاغيِّ، فهو داخل في فروض الكفايات؛ لأنَّه يحتاج إلى مقدِّمات في معرفة علوم الآلة؛ كاللغة وعلوم البلاغة، وهو ممَّا لا يتيسَّر لآحاد المسلمين.

«ولا ريب أنَّ إدراك إعجاز القرآن المجيد واجبٌ على المسلمين؛ ليُقيموا الحجَّة على حقِّيَّة كتابهم، وكونه تنزيلًا من حكيم حميد، ولمَّا كان النَّفاذ إلى أسرار الإعجاز الغامضة، ومعاني المناسبة العميقة، لا يتأتَّى لكلِّ أحد.. فقد صار واجبًا على الأمَّة أن تنتدبَ إلى إدراك ذلك طائفةً منها، يقومون عنها بالواجب الكِفائيِّ، فإذا قامت به [هذه الطَّائفة] سقط الإثم عن الأمَّة كلِّها، وإلَّا أصاب الإثمُ كلَّ قادر لم ينهض إليه. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢]»[١].

---

(١) مصابيح الدُّرر ص ١٨.



المبحث الخامس: مسائله

ترجِع أصولُ مسائل علم المُناسَبات، بحسَب استقرائي، إلى ثلاثة أصول رئيسة، وتتفرَّع منها أنواعٌ عدَّة، وهي، بحسَب اجتهادي:

الأول: المُناسَبات في السُّوَر، وأنواعها:

١- المناسبة بين مَقصِد السُّورتين المتجاورتين.

٢- المناسبة بين مطلع السُّورة وخاتمة الَّتي قبلها.

٣- المناسبة بين مطلع السُّورة وخاتمتها.

٤- المناسبة بين مطلع السُّورة ومطلع السُّورة الَّتي تليها.

٥- المناسبة بين سورتين أمر الشَّارع بالجمع بينهما.

الثاني: المُناسَبات في الآيات، وأنواعها:

١- المناسبة بين الآية والَّتي تليها.

٢- المناسبة بين الآية وخاتمتها.

٣- المناسبة بين الجُمَل المعطوفة.

٤- المناسبة في ترتيب المفردات المعطوفة.

٥- المناسبة بين القَسَم والمُقْسَم به.

الثالث: المُناسَبات في المتشابهات، وأنواعها:

١- المناسبة بين المتشابهات لفظًا.

٢- المناسبة بين المتشابهات معنًى.

٣- المناسبة بين المتشابهات وصفًا.

٤- المناسبة بين القراءات.

وبعضهم يضيف نوعًا رابعًا، وهو: المناسبة مع مَقصِد السُّورة، ومن أنواعه:

١- المناسبة بين مَقصِد السُّورة ومطلعها.

٢- المناسبة بين مَقصِد السُّورة وخاتمتها.

٣- المناسبة بين مَقصِد السُّورة واسمها.

٤- المناسبة بين مَقصِد السُّورة وكلمة مكرَّرة فيها.

٥- المناسبة بين مَقصِد السُّورة وسبب نزولها.

ولكنَّه ألصق بعلم (مقاصد السُّوَر)[1] الَّذي استقلَّ بنفسه.

وزاد بعض الفضلاء تناسب ألفاظ القرآن ومعانيها[2]، وذكر في ذلك أنواعًا، هي:

تناسب الحروف في الكلمة.

التَّناسُب في تضعيف الكلمة أو الزِّيادة فيها.

التَّناسُب في التَّعبير بالاسم أو الفعل.

---

(١) وبهذا يُعلَم أنَّ علم مقاصد السُّوَر جزء من علم المناسبات.

(٢) انظر: كتاب خصائص الأسلوب القرآنيِّ، للدُّكتور أبي بكر بن محمَّد البخيت ص ٩٥.

التَّناسُب في تَعدِية الفعل.

وهو تسامحٌ في إطلاق التَّناسُب في مثل هذا، فالتَّناسب فيها ليس من علم المُناسَبات المختصّ بالقرآن؛ بل يرجع إلى علم اللغة، ومدى تناسب الحروف في الكلمة لمعانيها، وتَعدِيةُ الفعل هو من علم التَّضمين في اللغة، وليس من المُناسَبات.

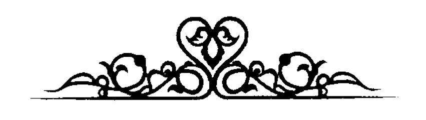
وأمَّا علم (الوجوه والنَّظائر) فلا يدخل في علم المُناسَبات، فالوجوه: اللفظ المشترَك الَّذي يُستعمل في معانٍ عدَّة[1]، ولا يَلزَم وجود مناسبة بين هذه المعاني، مثل لفظ (أمَّة) الَّذي جاء بمعنى القُدوة والمدَّة والجماعة والمِلَّة، ولكنْ لو حاول عالمٌ الرَّبط بين هذه المعاني وبين سبب اختصاص تسميتها بـ(أمَّة) دخل من هذا الباب في علم المُناسَبات.

ومن العلوم الَّتي قد يُتوهَّم دخولها في علم المُناسَبات أيضًا علم (كُلِّيَّات القرآن)[2] أو (عادات القرآن)[3]، فإنَّ عادات القرآن الكريم -سواء كانت في كلمة أو أسلوب- إنَّما هي إخبارٌ عن عادة القرآن في استخدام لفظ معيَّن أو أسلوب معيَّن، ولا يَلزَم أن يكونَ في ذلك تناسُب أو عَلاقة بشيء آخر.

(١) الإتقان في علوم القرآن، للسُّيوطيِّ ٢/ ١٤٤.

(٢) انظر: كلِّيَّات الألفاظ في التَّفسير، لبريك بن سعيد القرنيِّ، الجمعيَّة السُّعوديَّة للقرآن وعلومه، ط١، ١٤٢٦هـ.

(٣) انظر: عادات القرآن الأسلوبيَّة، د. راشد بن حمود الثُّنيَّان، دار التَّدمريَّة، ط١، ١٤٣٣هـ.



المبحث السَّادس: أهمِّيَّته

قال الإمام الزَّركشيُّ: «واعلم أنَّ المناسبة علمٌ شريف تُحرَز به العقول، ويُعرَف به قَدْرُ القائل فيما يقول». وقال: «ولهذا قيل: المناسبة أمر معقول، إذا عُرض على العقول تلقَّته بالقَبُول»[1].

وقال: «وإذا ثَبَتَ هذا بالنِّسبة إلى السُّوَر[2] فما ظَنُّك بالآيات وتعلُّق بعضِها ببعض؟ بل عند التأمُّل يَظهَر أنَّ القرآنَ كُلَّه كالكلمة الواحدة»[3].

وقال السُّيوطيُّ: «المناسبة علم شريف قلَّ اعتناءُ المفسِّرين به لدقَّته»[4].

وقال الزَّركشيُّ: «وقد قلَّ اعتناءُ المفسِّرين بهذا النَّوع لدقَّته، وممَّن أكثرَ منه: الإمام فخر الدِّين الرَّازيُّ، وقال في تفسيره: أكثرُ لطائف القرآن مُودَعة في التَّرتيبات والرَّوابط.

وقال بعض الأئمَّة: من محاسن الكلام أن يرتبط بعضُه ببعض لئلَّا يكون منقطعًا.

وهذا النَّوع يُهمِله بعضُ المفسِّرين أو كثير منهم! وفوائده غزيرة.

قال القاضي أبو بكر بن العربيِّ في سراج المُرِيدِين: ارتباطُ آيِ القرآن بعضِها ببعضٍ حتَّى تكونَ كالكلمة الواحدة، مُتَّسقةَ المعاني، مُنتَظِمةَ المباني؛ علمٌ عظيمٌ، لم يتعرَّض له إلَّا عالمٌ واحدٌ عمل فيه سورة البقرة، ثمَّ فتح اللهُ ﷻ لنا فيه،

(١) البرهان في علوم القرآن ١/ ٣٥.

(٢) يعني المناسبة بين السُّوَر.

(٣) البرهان في علوم القرآن ١/ ٣٩.

(٤) الإتقان في علوم القرآن ٣/ ٣٦٩.

فلمَّا لم نجد له حَمَلةً، ورأينا الخلقَ بأوصاف البَطَلةِ، خَتَمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله، ورددناه إليه»[1].

وقال الرَّازيُّ: «ومن تأمَّل في لطائف نظم هذه السُّورة، وفي بدائع ترتيبها؛ علم أنَّ القرآنَ كما أنَّه مُعجِز بحسَب فصاحةِ ألفاظِه وشَرَف معانيه؛ فهو أيضًا مُعجِز بحسَب تَرتيبِه ونَظمِ آياتِه، ولعلَّ الذينَ قالوا: إنَّه مُعجِز بحسَب أسلوبه أرادوا ذلك، إلَّا أنِّي رأيتُ جمهورَ المفسِّرين مُعرِضين عن هذه اللطائف، غيرَ مُتنَبِّهين لهذه الأمور! وليس الأمرُ في هذا الباب، كما قيل:

والنَّجمُ تَستَصغِرُ الأبصارُ رُؤيَتَهُ ... والذَّنْبُ لِلطَّرْفِ، لا لِلنَّجمِ في الصَّغَرِ»[2]

وقال البِقاعيُّ: «وهو سرُّ البلاغة؛ لأدائه إلى تحقيق المعاني لما اقتضاه من الحال»[3].

وقال: «هذا العلم في غاية النَّفاسة، ونسبته من علم التَّفسير نسبة علم البيان من النَّحو»[4].

وقال الأصبهانيُّ (ت ٧٤٩هـ): «إنَّ القرآن مُعجِز، والرُّكنُ الأبْيَنُ للإعجاز يتعلَّق بالنَّظم والتَّرتيب»[5].

وقال مَنَّاع القَطَّان: «كما أنَّ معرفة سبب النُّزول لها أثرها في فهم المعنى وتفسير الآية، فإنَّ معرفة المناسبة بين الآيات تساعد كذلك على حُسن التَّأويل، ودقَّة الفهم»[6].

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٣٦/١.

(٢) مفاتيح الغيب، للرَّازيِّ ١٠٥/٧.

(٣) مصاعد النَّظر للإشراف على مقاصد السُّوَر، للبقاعيِّ ١/ ١٤٢.

(٤) نظم الدُّرر ٦/١.

(٥) نظم الدُّرر ١٩/١.

(٦) مباحث في علوم القرآن ص ٩٦.

مِمَّا سبق تتَّـضح أهمِّيَّة علم المُناسَبات بأمور عدَّة:

١- قلَّة المُعتَنِين به.

٢- أكثر لطائف القرآن مُودَعة فيه.

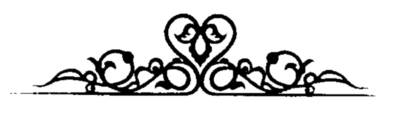
٣- هو سرُّ البلاغة.

٤- يساعد على حُسن التَّأويل، ودقَّة الفهم.

٥- وهو أيضًا يدخل في قول النَّبيِّ ﷺ: (خَيرُكُم مَن تعلَّمَ القرآنَ وعَلَّمَه)[1]، فينال من هذه الخيريَّة.

٦- من أهمِّيَّة علم المُناسَبات: أن بعض أنواعه تدخل في باب الإعجاز القرآنيِّ. نعم، ليس كلُّ مناسبة إعجازًا، ولكنَّ الإعجاز قد يحصُل ببعضها، وهو حاصل بمجموعها قطعًا، فالمناسباب -كما جاءت في البحث- تقارب العشرين نوعًا، فجمعها في كتابٍ واحد بهذه الكثافة والكثرة، لا شكَّ هو من الإعجاز.

(١) كتاب فضائل القرآن للبخاريِّ، باب خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه، رقم (٥٠٢٧) عن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه.



المبحث السَّابع: ثمرته

فوائد علم المُناسَبات وثماره كثيرة، منها:

١- «فائدتُه جعلُ أجزاءِ الكلامِ بعضها آخذًا بأعناق بعض، فيَقوى بذلك الارتباطُ، ويصير التَّأليف حالُه حالُ البناء المحكم المتلائم الأجزاء»[١].

٢- « بهذا العلم يَرسَخ الإيمان في القلب ويتمكَّن من اللبِّ»[٢].

٣- يساعد على معرفة مَقصِد السُّورة وأغراضها.

٤- يُعِين على التَّرجيح بين الأقوال، فالقول الَّذي يتناسب مع سياق الآية وسباقها أولى من الَّذي يتنافر معها.

٥- يُعِين على حلِّ مُشكلات في تفسير القرآن، كسبب تكرار القصص[٣] وغيره.

٦- يُرسِخ ويَجلُو إعجاز القرآن في بيان ارتباط بعضِ الآيات ببعض، ووجه المناسبات بين السُّور.

٧- «بيان وجه مُهِمٍّ من وجوه إعجاز القرآن المجيد، وإثبات كونه من عند الله العَلِيِّ الحكيم، فقد جعل الله سبحانه هنا الاتِّساقَ والتَّلاؤم بين آياته من دلائل حقِّيَّته وكونه من لَدُنْه سبحانه، فقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢]. إذن فنَفيُ التَّنافُرِ والاختلافِ عن القرآن المجيد سورِه وآياتِه مِمَّا يثبت إلهيَّةَ مصدرِه، وحَقِّيَّةَ تنزيلِه، ولمثل هذه الغاية تُوجَّه الهِمَمُ، وتُشحَذُ العزائم»[٤].

---

(١) البرهان، للزَّركشيِّ ٣٦/١.

(٢) نظم الدُّرر ١١/١.

(٣) نظم الدُّرر ١٤/١.

(٤) مصابيح الدُّرر ص ٢٢.

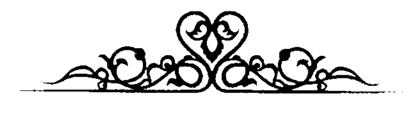
٨- هو عَلَم من أعلام النُّبوَّة، وأنَّ هذا القرآن من لَدُنْ حكيم خبير، فهذا التَّرتيب الحاصل في القرآن ليس في مقدور البشر لكتابٍ نزل في ثلاث وعشرين سنة، مهما كان عقله وعلمه وذكاؤه وفِطنته، فكان في ذلك دليلٌ على صدق نُبوَّته[١].

٩- يساعد على حفظ القرآن الكريم، فهو يُسهِّل ربط الآيات والسُّوَر، ويبين أوجهَ الفرق بين المتشابهات، فيَسهُل على الحُفَّاظ تثبيتُ القرآن[٢].

---

(١) علم المناسبات، بازمول ص ٣٩.

(٢) علم المناسبات، بازمول ص ٤٠.



المبحث الثَّامن: حُكم ترتيب السُّوَر

وسأذكر في هذا المبحَث أقوالَ العلماء في مسألة حُكم ترتيب السُّوَر؛ لأنَّ التَّناسُب بين السُّوَر فرع عن هذه المسألة.

اختلف العلماء في حكم ترتيب السُّوَر على قولين[1]، الأوَّل: أنَّه اجتهاديٌّ من الصَّحابة. والقول الثَّاني: أنَّه توقيفيٌّ من الشَّارع[2].

فمن قال بأنَّه اجتهاديٌّ استدلَّ بـ:

١- حديث (أنَّ النَّبيَّ ﷺ قام الليلَ، فصلَّى بالبقرة، ثمَّ النَّساء، ثمَّ آل عِمرانَ..) [3].

الجواب:

أوَّلًا: الخلاف في حكم الكتابة في المصحف، وليس في القراءة في الصَّلاة، فالحديث خارج مَحَلِّ النِّزاع.

ثانيًا: احتمال وهم الرَّاوي، أو من دونه.

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، للزَّركشيِّ ٢٥٧/١، والإتقان في علوم القرآن، للسُّيوطيِّ ٢١٦/١، والمنار في علوم القرآن، محمَّد علي الحسن ص ١٦٨.

(٢) وبعضهم يتوسَّط، جمعًا بين القولين، فيقول: بعضه اجتهاديٌّ وبعضه توقيفيٌّ، والأقرب عندي أنَّ هذا تكلُّف، فمقصود الخلاف هو: بيان ترتيب السُّوَر؛ هل دخلته يد الاجتهاد أو لا؟ ومثل هذا لا يحتمل قسمة ثالثة، فإذا كان هناك اجتهاد في بعضه فهو إذن اجتهاديٌّ.

(٣) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، رقم (٧٧٢).

ثالثًا: احتمال الرِّواية بالمعنى، فقد يكون الرَّاوي إنَّما يذكر السُّوَر الَّتي قرأها النَّبيُّ ﷺ، بغضِّ النَّظر عن ترتيبه لها، فقد رُوي عن مسلم بن مخراق، قال: قلت لعائشة: يا أمَّ المؤمنين، إنَّ ناسًا يقرأ أحدُهم القرآنَ في ليلة مرَّتينِ، أو ثلاثًا. فقالت: «أولئك قرؤوا، ولم يقرؤوا! كان رسول الله ﷺ يقوم الليلة التمام، فيقرأ سورة البقرة، وسورة آل عِمرانَ، وسورة النِّساء، ثمَّ لا يمر بآية فيها استبشار إلَّا دعا اللهَ ﷻ ورَغِبَ. ولا يَمُرُّ بآيةٍ فيها تخويفٌ إلَّا دعا الله ﷻ واستعاذَ»[1]. ففي هذا الحديث ذكرت عائشةُ ﵂ السُّوَر مرتَّبة بحسَب المصحف، وهي أكثر ملازمةً ومعرفة لحال النَّبيِّ ﷺ.

رابعًا: مخالفته للأحاديث الأخرى، فقد كان النَّبيُّ ﷺ يَحرِصُ على التَّرتيب في مجمل قراءاته، كما سيأتي.

خامسًا: لو قلنا بعدم اعتبار كلِّ هذه الاحتمالات، فيكون الحديث لتوضيح حكم شرعيٍّ، وهو: كراهية التَّنكيس في القراءة، وليس تحريمه، مثل حديث: النَّهي عن استقبال القِبلة واستدبارها، مع فعله ﷺ للاستدبار، فدلَّ على كراهية ذلك وعدم تحريمه[2].

سادسًا: ممَّا أجيب به: أنَّ هذا الحديث من المجمل المتشابه الَّذي يَرجِع فيه إلى المُحْكَم، والذي نجده في المحكم هو الحرصُ التَّامُّ على التَّرتيب، والجواب الأوَّل كافٍ.

٢- حديث ابن عبَّاس: قلتُ لعُثمانَ بنِ عَفَّانَ: ما حَمَلَكُم على أن عَمَدتُم إلى الأنفال، وهي من المثاني، وإلى براءة، وهي من المئين، فقَرَنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطرًا:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند رقم (٢٤٨٧٥) وصحَّح إسناده الأرنؤوط، كما في طبعة الرِّسالة.

(٢) ورجَّح القول بكراهية الاستدبار شيخنا العلامة محمَّد بن صالح العثيمين رحمه الله، كما في كتابه الشَّرح الممتع ١/ ١٢٥.

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، ووضعتموها في السبع الطِّوال؟ ما حملكم على ذلك؟ قال عثمان: إنَّ رسول الله ﷺ كان ممَّا يأتي عليه الزَّمان ينزل عليه من السُّوَر ذواتُ العدد، وكان إذا أُنزل عليه الشَّيء يدعو بعضَ من يكتب عنده، يقول: ضَعُوا هذا في السُّورة الَّتي يذكر فيها كذا وكذا، وينزل عليه الآيات فيقول: ضعوا هذه الآية في السُّورة الَّتي يذكر فيها كذا وكذا، وينزل عليه الآية فيقول: ضعوا هذه الآية في السُّورة الَّتي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما أنزل بالمدينة، وبراءة من آخر القرآن، فكانت قصَّتُها شبيهًا بقصَّتها، فقُبضَ رسولُ الله ﷺ ولم يُبيِّن لنا أنَّها منها، وظننتُ أنَّها منها، فمن ثمَّ قَرَنتُ بينهما، ولم أكتب بينهما سطرًا: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، ووضعتها في السَّبع الطِّوال[1].

-والجواب[2]: أن الحديث لا يصحُّ سَنَدًا ومتنًا. أمَّا سندًا فقد بيَّنتُ ذلك في الحاشية. وأمَّا متنًا فالأنفال نزلت بعد أولى الغزَوات، غزوةِ بدرٍ في السَّنة الثَّانية للهجرة. والتَّوبةُ نزلت بعد آخر غزوة شارك فيها النَّبيُّ ﷺ، غزوةِ تَبُوك في السَّنة التَّاسعة للهجرة، فالفرق بينهما في السَّبب والزَّمن والأحداث ظاهرٌ جدًّا، ولا يخفى على آحاد طلبة العلم فكيف يخفى على عُثمانَ بنِ عَفَّان ﷺ ويقول (وظننت أنَّها منها)؟!.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد برقم (٣٩٩)، والتِّرمِذيُّ في كتاب أبواب التَّفسير، باب ومن سورة التَّوبة، رقم: ٣٠٨٦، وهو حديث ضعيف، ضعَّفه الألبانيُّ كما في ضعيف سنن التِّرمِذيِّ ٣٨٠/١، وقال البَزَّار بعد روايته لهذا الحديث، كما في البحر الزَّخَّار ٨/٢: «وهذا الحديث لا نعلمه يُروى عن رسول الله ﷺ إلَّا من هذا الوجه، ولا نعلم رواه عن رسول الله ﷺ إلَّا عثمان، ولا روى ابن عبَّاس عن عثمان إلَّا هذا الحديث»، بل قال عنه الشَّيخ أحمد شاكر،كما في تحقيقه للمسند ٣٢٩/١، رقم (٣٩٩): «لا أصل له، ويزيد الفارسيُّ، الرَّاوي عن ابن عبَّاس، لم يَروِ له أصحاب الصَّحيح»، وبهذا تعرف وَهْمَ الحاكم بقوله في المستدرك ٢٤١/٢: صحيح على شرط الشَّيخين ولم يخرجاه، والأعجب موافقة الذَّهبيِّ له على ذلك.

(٢) انظر: مباحث في التَّفسير الموضوعيِّ ص ٧٩.

٣- وجود اختلاف في التَّرتيب في مصاحف بعض الصَّحابة:

الجواب[١]: الكثير من هذه الرِّوايات لم تَصِحَّ، وعلى فَرضِ صِحَّتها، فما يكتبه الإنسان لنفسه يختلف عمَّا يكتبه للنَّاس، فالبعض يكتب على حَسَب النُّزول، والبعض يكتبه بحسب الحفظ، وهكذا. وكثير من هذه الكتابات كُتبت قبل نشر مصحف عثمان ﷺ، وأُحرقت لَمَّا أُمر بذلك، وبعضهم يكتب مثل هذا بقصد التَّفسير وليس مُصحفًا.

وأمَّا أدلَّة القول بأنَّ ترتيب السُّوَر توقيفي من الشَّارع، فاستدلُّوا بالآتي:

١- تسمية سورة الفاتحة بـ(فاتحة الكتاب) وهي فاتحة المصحف: عن ابن عبَّاس، قال: بينما جبريل قاعد عند النَّبيِّ ﷺ، سمع نقيضًا من فوقه، فرفع رأسه، فقال: «هذا باب من السَّماء فُتحَ اليومَ لم يُفتح قطُّ إلَّا اليومَ، فنزلَ منه مَلَكٌ، فقال: هذا مَلَكٌ نزلَ إلى الأرضِ لم يَنزلْ قطُّ إلَّا اليومَ، فسَلَّمَ، وقال: أبشِرْ بنُورَيْنِ أُوتِيتَهُما لم يُؤتَهُما نَبِيٌّ قَبلَكَ: فاتحةِ الكتابِ، وخواتيمِ سُورةِ البقرةِ، لن تَقرأَ بِحَرفٍ مِنهما إلَّا أُعطِيتَهُ»[٢].

٢- حديث الزَّهراوَيْنِ: قال ﷺ: (اقرؤوا الزَّهراوَينِ: البقرةَ، وسورة آل عِمرانَ، فإنَّهما تأتيانِ يومَ القيامةِ كأنَّهما غَمامتانِ، أو كأنَّهما غَيايَتانِ، أو كأنَّهما فِرْقانِ من طَيرٍ صَوافَّ، تُحاجَّانِ عن أصحابهما)[٣]، والشاهد فيه: تقديم البقرة على آل عِمرانَ كما هو ترتيبها في المصحف.

---

(١) انظر: مباحث في التَّفسير الموضوعيِّ ص ٧٨.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، رقم (٨٠٦).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، رقم (٨٠٤).

٣- عن واثلة بن الأسقع، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «أُعطِيتُ مكانَ التَّوراة السَّبع، وأُعطِيتُ مكانَ الزَّبُور المِئِينَ، وأُعطِيتُ مكانَ الإنجيلِ المَثانِيَ، وفُضِّلتُ بالمُفَصَّلِ»[١]، وهكذا ترتيبها في المصحف، وهو من أصرح الأحاديث في توقيف ترتيب السُّوَر.

٤- حرصه ﷺ على التَّرتيب في غالب ما يقرأ، مثل حديث:

أنَّه ﷺ كان يصلِّي الجمعةَ بـ (سَبِّح) و(الغاشية)، والعيدَ بـ (ق) و(اقتربت)، وسُنَّةَ الفجرِ بـ (الكافرون) ثمَّ (الإخلاص)، وغيرها من الأحاديث.

٥- قال ابن وَهب: سمعت مالكًا يقول: «إنَّما أُلِّف القرآن على ما كانوا يسمعون من قراءة رسول الله ﷺ»[٢].

٦- ومن أصرح هذه الأدلَّة حديث أوس بن حذيفة، قال: سألنا أصحاب رسول الله ﷺ فقلنا: كيف تُحَزِّبُونَ القرآنَ؟ قالوا: نُحَزِّبُه ثلاثَ سُوَرٍ، وخَمْسَ سُوَرٍ، وسَبْعَ سُوَر، وتِسعَ سُوَر، وإحدى عَشْرةَ سورةً، وثلاثَ عشْرةَ سورةً، وحزبَ المفصَّلِ من (قاف) حتَّى يَختِمَ[٣].

٧- «إجماع الصَّحابة وإقرارهم كافٍ للدَّلالة على توقيف ترتيب السُّوَر، ولا نعلم عنهم خلافًا، فكفى بذلك دليلًا وبرهانًا»[٤].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٦٩٨٢)، وصححه الألبانيُّ في السِّلسلة الصَّحيحة ٣/٤٦٩.

(٢) المُقنِع، للدَّاني ص١٨.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٩٠٢١)، وابن ماجه في كتاب إقامة الصَّلاة والسُّنَّة فيها، باب في كم يُستحبُّ أن يُختم القرآن، رقم (١٣٤٥)، وحسَّنه ابن كثير في فضائل القرآن ص ١٤٨.

(٤) المنار في علوم القرآن، محمَّد علي الحسن ص ١٦٨.

٨- «وقال بعضهم: لترتيب وضع السُّوَر في المصحف أسبابٌ تُطلِعُ على أنَّه توقيفيٌّ صادرٌ عن حكيم:

أحدها: بحسَب الحروف، كما في الحواميم.

الثَّاني: لموافقة أوَّل السُّورة لآخر ما قبلها، كآخر الحمد في المعنى وأوَّل البقرة.

الثَّالث: للتَّوازن في اللفظ، كآخر (تبَّت) وأول (الإخلاص).

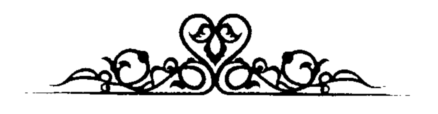
الرَّابع: لمشابهة جملة السُّورة لجملة الأخرى، كـ (الضحى) و(ألم نشرح)»[١].

٩- ذهب الزَّركشيُّ إلى أنَّ الخلاف في ذلك لفظيٌّ، فقال: «والخلاف يَرجِع إلى اللفظ، لأنَّ القائل بالثَّاني -يعني القول بأنَّ ترتيب السُّوَر اجتهاديٌّ- يقول: إنَّه رمز إليهم بذلك؛ لعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته»[٢].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، للسُّيوطيِّ ٣/ ٣٨١.

(٢) البرهان في علوم القرآن، للزَّركشيِّ ١/٢٥٧.



المبحث التَّاسِع: قواعد في علم المُناسَبات

حاولتُ في هذا المَبحَث أن أحصُرَ أهمَّ القواعد لمعرفة المناسبة، بحيث يكون علمًا مُنضَبِطًا على قواعدَ مُطَّرِدةٍ، وأصولٍ واضحةٍ:

١- الأصل أنَّ الله ﷻ لم يقدِّم هذا على هذا، سواء كان كلمة أو آية أو سورة، إلَّا لحكمة وسرٍّ[1].

٢- الأصل أنَّ طلب المناسبة اجتهاديٌّ[2].

٣- الأصل أنَّ المناسبة موجودة، ولكن لا يَلزَم أن تكون ظاهرةً في كلِّ موضع لكلِّ أحد[3].

٤- معرفة مَقصِد السُّورة من أعظم ما يُعِين على معرفة المُناسَبات فيها[4]. قال الإمام البِقاعيُّ: «قال شيخنا الإمام المحقِّق أبو الفضل محمَّد بن أبي عبد الله محمَّد بن أبي القاسم محمَّد المشداليُّ المغربيُّ البجائيُّ المالكيُّ: الأمرُ الكُلِّيُّ المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو: أنَّك تنظر الغرض الَّذي سبقت له السُّورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدِّمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدِّمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدِّمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السَّامع إلى الأحكام واللوازم التَّابعة له، الَّتي تقتضي البلاغة شفاء العليل بدفع عناء

---

(١) علم المناسبات، بازمول ص ٢٩.

(٢) المرجع السَّابق ص ٢٩.

(٣) المرجع السَّابق ص ٣٧.

(٤) المرجع السَّابق ص ٤٣.

الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمرُ الكلِّيُّ المهيمنُ على حُكم الرَّبط بين جميع أجزاء القرآن، فإذا فعلته تبيَّن لكَ، إن شاء اللهُ، وجهُ النَّظم مفصَّلًا بين كلِّ آية وآية في كلِّ سورة سورة، واللهُ الهادي»[1].

«وشروط جواز طلب المُناسَبات في القرآن، هي:

٥- أن تكون المناسبة منسجمة مع السِّياق والسِّباق واللحاق.

٦- أن تكون المناسبة غير متعارضة مع الشَّرع.

٧- أن تكون متوافقةً مع تفسير الآية، غير مخالفة له مخالفةَ تضادٍّ.

٨- أن تكون المناسبة غيرَ متعارضةٍ مع اللسان العربيِّ المبين الَّذي نزل به القرآن الكريم.

٩- ألَّا يَجزِم المُفسِّر بأنَّ هذه المناسبة هي مرادُ الله تعالى»[2].

١٠- «معرفة المُناسَبات والرَّبط بين الآيات ليست أمرًا توقيفيًّا، ولكنها تعتمد على اجتهاد المُفسِّر، ومَبْلَغ تذوُّقه لإعجاز القرآن وأسراره البلاغيَّة، وأوجُه بيانه الفريد، فإذا كانت المناسبة دقيقةَ المعنى، منسجمةً مع السِّياق، متَّفقةً مع الأصول اللغويَّة في علوم العربيَّة، كانت مقبولةً لطيفةً»[3].

١١- «مرجعها -والله أعلم- إلى معنى رابط بينهما؛ عامٍّ أو خاصٍّ، عقليٍّ أو حسِّيٍّ أو خياليٍّ، وغير ذلك من أنواع العلاقات أو التَّلازم الذِّهنيِّ؛ كالسَّبب والمسبَّب، والعِلَّة والمعلول، والنَّظِيرين، والضِّدَّين، ونحوها. أو التَّلازم الخارجيِّ؛ كالمرتَّب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر»[4].

---

(١) نظم الدُّرَر في تناسب الآيات والسُّور ١/١٨.

(٢) علم المناسبات، بازمول ص ٣٧.

(٣) مباحث في علوم القرآن، لمَنَّاع القطَّان ص ٩٧.

(٤) البرهان في علوم القرآن ١/٣٥.

١٢- يُشترط في دَلالة الاقتران -وهي إحدى أنواع المُناسَبات- أن تأتي في غير محلّ الحكم، وألَّا يأتي دليل بعدم اعتبارها، وألَّا تكون من عطف الجمل المستقلَّة، وهي بذلك تكون حجَّة، كما تقدَّم.

١٣- قال الشَّيخ عزُّ الدِّين بن عبد السَّلام: «المناسبةُ عِلم حسَن، ولكنْ يُشترط في حُسن ارتباط الكلام أن يقع في أمرٍ مُتَّحدٍ مرتبطٍ أوَّلُه بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يُشتَرط فيه ارتباطُ أحدهما بالآخر»[١].

١٤- أنواع المُناسَبات[٢]:

١- التَّنظير: بأن يذكر الشَّيء ثمَّ يذكر نظيره، مثل ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ﴾ [البقرة:١٨٩]، فلما ذكر التَّعامل الصَّحيح مع الأهلَّة باعتبارها مواقيت، وليست آلهة، ولا تدل على موت عظيم ولا حياته؛ ذكر لهم أمرًا آخر يتعاملون معه خطأ، ليصحِّحوا فِعلَهم، وهو دخول البيوت بعد العَوْدِ من الحجِّ من ظهورها.

٢- المضادَّة: بأن يذكر الشَّيء ثمَّ يُعقِبه بذكر ضِدِّه، وبضِدِّها تتبيَّن الأشياء، مثل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥-١٠]

الاستطراد: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦]. «قال الزَّمَخْشَرِيُّ: هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عَقِب ذِكر بُدُوِّ السَّوْءات، وخَصْف الورَق عليها؛ إظهارًا للمِنَّة فيما خلق الله من اللباس، ولِما في العُرْي وكشف العورة من المهانة والفضيحة،

(١) المرجع السَّابق ٣٧/١.

(٢) المرجع السَّابق ٤٧/١.

وإشعارًا بأنَّ السَّتر باب عظيم من أبواب التَّقوى»[1].

وذكرَ السُّيوطيُّ أنَّ مِمَّا يقرِّب من معنى الاستطراد أمورًا[2]:

١- حسن التَّخلُّص: وهو أن ينتقل بما ابتُدئ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاسًا دقيقًا، بحيث لا يشعر السَّامع، وانظر إلى سورة الأعراف كيف ذكر فيها الأنبياء والقرون الماضية والأمم السَّالفة، ثمَّ ذكر موسى إلى أن قصَّ حكاية السَّبعين رجلًا، ودعائه لهم بقوله: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ [الأعراف:١٥٦]، ثمَّ تخلَّص بمناقبِ سيِّد المرسَلينَ بعد تخلُّصه لأمَّته بقوله: ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ﴾ [الأعراف:١٥٦]، فسأكتبها للذين من صفاتهم كَيْتَ وكَيْتَ، وهم الَّذين يتَّبعون الرَّسول النَّبيَّ الأمِّيَّ، ثمَّ أخذ في صفاته الكريمة.

٢- الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطًا للسَّامع مفصولًا بـ(هذا)، كقوله في سورة (ص) بعد ذكر الأنبياء: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص:٤٩].

٣- حسن المطلب: وهو أن يخرج إلى الغرض بعد تقدُّم الوسيلة، كقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا﴾ [الفاتحة: ٥، ٦].

---

(١) الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل، للزَّمخشريِّ ٢/ ٩٧.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ٣/ ٣٧٥.



الفصل الثَّاني (التَّطبيقيُّ)
أنواع علم المُناسَبات

المبحث الأوَّل: المُناسَبات في السُّوَر

المبحث الثَّاني: المُناسَبات في الآيات

المبحث الثَّالث: المُناسَبات في المتشابهات



المبحث الأوَّل: المُناسَبات في السُّوَر

المطلب الأوَّل: المناسبة بين مَقصِد السُّورتين المتجاورتين.

المطلب الثَّاني: المناسبة بين مطلع السُّورة وخاتمة الَّتي قبلها.

المطلب الثَّالث: المناسبة بين مطلع السُّورة وخاتمتها.

المطلب الرَّابع: المناسبة بين مطلع السُّورة ومطلع السُّورة الَّتي تليها.

المطلب الخامس: المناسبة بين سورتين أمر الشَّارع بالجمع بينهما.

المطلب الأوَّل: المناسبة بين مَقصِد السُّورتين المتجاورتين:

وهذا القسم هو الأصل في هذا الباب، وما بعده تَبَع له وفرع منه، فإذا ثبت أن السُّورتين بينهما تناسب في المعنى والمَقصِد، فسيكون هناك غالبًا مناسبةٌ بين مطلع السُّورة وخاتمة الَّتي قبلها، ومطلع السُّورتين، ومطلع السُّورة وخاتمتها. وقد اهتم المفسِّرون بذلك، وعُنُوا به، وبَيَّنُوا أنَّ كلَّ سُورة لها مَقصِد، وكلَّ سورتين متتاليتين مرتبطتان؛ بل قال السُّيوطيُّ رحمه الله: «إنَّ كلَّ سورة شارحةٌ لِما أُجمِل في السُّورة الَّتي قبلها»[1].

وإليك بعضَ الأمثلة:

١- «من لطائف سورة الكوثر: أنَّها كالمقابِلة للتي قبلها[2]، لأنَّ السَّابقة قد وصف الله فيها المنافق بأمور أربعة: البخل، وترك الصَّلاة، والرِّياء فيها، ومنع الزَّكاة؛ فذكر هنا في مقابلة البخل: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر:١]. أي: الكثير، وفي مقابلة ترك الصَّلاة: ﴿فَصَلِّ﴾ [الكوثر:٢]. أي: دُمْ عليها. وفي مقابلة الرِّياء: ﴿لِرَبِّكَ﴾ [الكوثر:٢]. أي: لرضاهُ، لا للنَّاس. وفي مقابلة منع الماعون: ﴿وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر:٢]. وأراد به التَّصدُّق بلحم الأضاحي، فاعتبرْ هذه المناسبة العجيبة»[3].

٢- قال الصَّاوي في حاشيته على تفسير الجلالين، في بيان العَلاقة بين سورة النِّساء والمائدة: «وجه المناسبة بينها وبين ما قبلها أنَّه حيث وعدنا الله بالبيان كراهة وقوعنا في الضلال آخرَ آية من النِّساء تمَّم ذلك الوعد بذكر هذه السُّورة؛ فإن فيها أحكامًا لم تكن في غيرها. قال البغوي: عن ميسرة قال: إنَّ الله -تعالى- أنزل في هذه السُّورة ثمانية عشر حُكمًا لم تنزل في غيرها من القرآن»[4].

---

(١) تناسق الدُّرَر، للسُّيوطيِّ ص ٥٤.

(٢) يعني سورة الماعون.

(٣) البرهان في علوم القرآن، للزَّركشيِّ ٣٩/١.

(٤) نقله في مصابيح الدُّرَر ص ١٣٣.

٣- الضُّحى، والشَّرح:

قال السُّيوطيُّ في سورة الشَّرح: «هي شديدة الاتِّصال بسورة الضُّحى، ولهذا ذهب بعض السَّلف إلى أنَّهما سورة واحدة بلا بسملة، وفي حديث الإسراء أنَّ الله تعالى قال: يا محمَّدُ، ألَمْ أجِدْكَ يتيمًا فآويتُ، وضالًّا فهَدَيتُ، وعائلًا فأغنَيتُ، وشرحتُ لكَ صَدرَك، وحَطَطْتُ عَنكَ وِزرَك، ورَفَعتُ لَكَ ذِكرَك؛ فلا أُذكَرُ إلَّا ذُكِرتَ؟»[1].

وسورة الضُّحى ذِكرٌ لنِعَم الله ﷻ الحِسِّيَّة على نبيِّه ﷺ، وأمَّا سورة الشَّرح فذَكَر الله ﷻ فيها نِعَمَه المعنويَّة على النَّبيِّ ﷺ.

٤- العَلَق، والقَدْر: سورة العَلَق أولى السُّوَر نزولًا، فكأنَّه قيل: متى كان هذا؟ فجاء الجواب في السُّورة الَّتي تليها: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر:١]. قال الطَّاهر بن عاشور عن الضَّمير في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ أنَّه «إيماء إلى أنَّ الضَّمير في ﴿أَنزَلۡنَٰهُ﴾ يعود إلى القرآن الَّذي ابتدئ نزوله بسورة العلق»[2]. و«قال أبو جعفر بن الزُّبير: حكى الخطَّابيُّ أنَّ الصَّحابة لَمَّا اجتمعوا على القرآن وضعوا سورة القدر عَقِبَ العلق. استدلُّوا بذلك على أنَّ المراد بهاء الكناية في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ الإشارة إلى قوله: ﴿إقرأ﴾ [العلق:١]. قال القاضي أبو بكر ابن العربيِّ: وهذا بديع جدًّا»[3].

٥- الفيل، وقُريش: لَمَّا ذَكَر الله ﷻ حِفظَه لقريش؛ ذكر ما أسداه من نِعَم عليهم. قال السَّمِين الحلبيُّ: «قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ [قريش:١] في متعلَّق هذه اللام أوجه، أحدُها: أنَّه ما في السُّورة قبلها من قوله: ﴿فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ﴾ [الفيل:٥]. قال الزَّمخشريُّ:

(١) تناسق الدُّرَر في تناسب السُّوَر ص ١٣٩، والحديث الذي ذكره السيوطي أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار ١٠/١٢٥ والحاكم وغيره، كما قال ذلك الألبانيُّ في السلسلة الصحيحة ٦/٨٦ في تخريج هذا الحديث برقم (٢٥٣٨)، وصححه.

(٢) التَّحرير والتَّنوير ٣٠/٤٥٦.

(٣) الإتقان في علوم القرآن، للسُّيوطيِّ ٣/ ٣٨٣.

«وهذا بمنزلة التَّضمين في الشِّعر» وهو أن يتعلَّق معنى البيت بالذي قبله تعلُّقًا لا يَصِحُّ إلَّا به، وهما في مصحف أُبَيٍّ سُورةٌ واحدةٌ بلا فصل»[١].

٦- الزَّهراوانِ: (البقرة، وآل عِمرانَ): لَمَّا ذَكَر اللهُ ﷻ المغضوبَ عليهم والضَّالين في الفاتحة؛ فَصَّلَ حالَ المغضوب عليهم في البقرة، وحالَ الضَّالِّين في آل عِمرانَ.

٧- المعوِّذتان: يقول شيخ الإسلام ابن تيميَّة في معرض كلامه عن سورة النَّاس: «فكانت هذه السُّورة للشَّرِّ الصَّادر من العبد، وأمَّا الشَّرُّ الصَّادر من غيره فسورة الفَلَق؛ فإنَّ فيها الاستعاذة من شرِّ المخلوقات عمومًا وخصوصًا»[٢].

وأوضح ذلك ابنُ القَيِّم بما لا مزيدَ عليه، فقال: «هذه السُّورة -أي: سورة النَّاس- مشتملة على الاستعاذة من الشَّرِّ الَّذي هو سبب الذُّنوب والمعاصي كلِّها، وهو الشَّرُّ الدَّاخل في الإنسان، الَّذي هو منشأ العقوبات في الدُّنيا والآخرة، (فسورة الفلق) تضمَّنت الاستعاذة من الشَّرِّ الَّذي هو ظلم الغير له بالسِّحر والحسد، وهو شرٌّ من خارجٍ، (وسورة النَّاس) تضمَّنت الاستعاذة من الشَّرِّ الَّذي هو سبب ظلم العبد نفسَه، وهو شرٌّ من داخلٍ، فالشَّرُّ الأوَّل لا يدخل تحت التَّكليفِ، ولا يُطلب منه الكَفُّ عنه؛ لأنَّه ليس من كَسْبِه، والشَّرُّ الثَّاني في سورة النَّاس يدخل تحت التَّكليف، ويتعلَّق به النَّهي، فهذا شرُّ المعائب، والأوَّل شرُّ المصائب، والشَّرُّ كُلُّه يَرجِع إلى العيوبِ والمصائب، ولا ثالث لهما، فـ(سورة الفلق) تتضمَّن الاستعاذة من شَرِّ المصيبات، و(سورة النَّاس) تتضمَّن الاستعاذةَ من شَرِّ العيوب الَّتي أصلُها كُلَّها الوسوسة»[٣].

(١) الدُّرُّ المَصُون في علوم الكتاب المكنون، للسَّمين الحلبي ١١/١١١.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة ١٧/٥٣٦.

(٣) بدائع الفوائد ٢/٢٥٠.

المطلب الثَّاني: المناسبة بين مطلع السُّورة وخاتمة الَّتي قبلها:

وقد ذكر العلماء أمثلة كثيرة لذلك، ومنها:

١- « إذا اعتبرت افتتاح كلِّ سُوَره وجدته في غاية المناسبة لِما ختم به السُّورة قبلها، ثمَّ هو يخفى تارة ويظهر أخرى؛ كافتتاح سورة الأنعام بالحمد، فإنه مناسب لختام سورة المائدة من فصل القضاء، كما قال سبحانه: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزُّمَر:٧٥].

٢- وكافتتاح سورة فاطر بـ ﴿الحمد﴾ [سبأ:٥٤] أيضًا؛ فإنَّه مناسب لختام ما قبلها من قوله: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ﴾ [سبأ:٥٤]، وكما قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام:٤٥].

٣- وكافتتاح سورة الحديد بالتَّسبيح؛ فإنَّه مناسب لختام سورة الواقعة من الأمر به.

٤- وكافتتاح البقرة بقوله: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ١-٢]؛ إشارة إلى ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ في قوله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦]. كأنَّهم لَمَّا سألوا الهداية إلى الصِّراط المستقيم قيل لهم: ذلك الصِّراط الَّذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب، وهذا معنًى حسَن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة»[1].

٥- «وجه المناسبة بينهما، أي: سورة النِّساء، وبين آل عِمرانَ:

أنَّ آل عِمرانَ خُتمت بالأمر بالتَّقوى، وافتُتحت هذه السُّورة بذلك، وهذا من آكد المُناسَبات في ترتيب السُّوَر»[2].

---

(١) البرهان في علوم القرآن، للزَّركشيِّ ٣٨/١، والإتقان في علوم القرآن، للسُّيوطيِّ ٣/ ٣٨١.

(٢) تفسير المراغيِّ ١٧٣/٤.

٦- «وقال الكُواشيُّ في تفسير المائدة: «لَمَّا ختم سورة النِّساء آمرًا بالتَّوحيد والعدل بين العباد أكَّد ذلك بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة:١]»[١].

٧- «سورة الأنعام: ختمت السُّورة السَّابقة بقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ﴾ [المائدة:١٢٠]؛ فناسبَ أن يُبيِّنَ سَببَ تلكَ الملكيَّة ومنشأها، فافتتح هنا بجملة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ [الأنعام:١]، فسبب ملكيَّة الله للسَّماوات والأرض أنَّه خالقهما وما فيهما»[٢].

٨- «تأمَّل ارتباط سورة ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ [قريش:١] بسورة الفيل حتَّى قال الأخفش: اتصالها بها من باب قوله: ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ﴾ [القصص:٨]»[٣]، يعني لام العاقبة.

٩- وفي آخر سورة الإسراء قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا﴾ [الإسراء:١١١]. وفي أوَّل سورة الكهف الَّتي تليها قال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ [الكهف:١].

١٠- وفي آخر سورة الطُّور قال: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور:٤٩]، وفي أوَّل سورة النَّجم قال: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم:١]»[٤].

١١- وفي نهاية الأحقاف: ﴿فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف:٣٥]، وفي أوَّلِ محمَّد: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد:١] فكأنَّه تعريف بالفاسقين[٥].

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١/ ١٨٦.

(٢) مصابيح الدُّرر ص ١٣٣.

(٣) البرهان في علوم القرآن، للزَّركشيِّ ٣٨/١.

(٤) مصابيح الدُّرر ص ٥٥.

(٥) مباحث في التَّفسير الموضوعيِّ، لمصطفى مسلم ص ٨٢.

١٢- «لَمَّا قال العبد بتوفيق ربه: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة:٦] قيل له: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ﴾ [البقرة:٢] هو مطلوبك، وفيه أرَبُكَ وحاجتك، وهو الصِّراط المستقيم: ﴿هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:٢] القائلين: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة:٦] والخائفين من حال المغضوب عليهم والضَّالِّينَ»[1].

١٣- «لَمَّا أثنى الله على أصحاب رسوله في خاتمة سورة الفتح جعل سورة الحُجُرات في تكميل إيمانهم وتأديبهم، فبدأ بالأدب مع الله، ثمَّ مع رسوله، ثمَّ مع المؤمنين، سواء من حضر منهم ومن غاب، ومن تلبَّس بفِسق»[2]، إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة، وهو ظاهر، والمناسبة فيه واضحة.

المطلب الثَّالث: المناسبة بين مطلع السُّورة وخاتمتها:

والمناسبة في هذا الباب ظاهرة في كثير من السُّوَر، وللسُّيوطيِّ -رحمه الله- فيه كتاب سمَّاه (مَراصِد المُطالع في تناسُب المقاطع والمَطالع)، ومن أمثلته:

١- «سورة النَّمل بدأت بذكر الكتاب، وأنَّه هُدًى، وخُتمت بذلك في قوله: ﴿ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴾ [النمل:٩٢].

القَصَص: في أوَّلها: ﴿فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ [القصص:١٧]. وفي آخرها: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [القصص:٨٦]. وفي أوَّلها: هجرة موسى من موطنه والعَوْد إليه، وفي آخرها هجرة النَّبيِّ ﷺ من بلده والعود إليه»[3].

٢- قال الزَّمخشريُّ: «وقد جعل الله فاتحة سورة ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [المؤمنون:١]

---

(١) كتاب (ليدَّبَّروا آياته)، ص ٣٢.

(٢) المرجع السَّابق: ص ٢١١.

(٣) مراصد المُطالع في تناسب المقاطع والمَطالع، للسُّيوطيِّ ص ٥٧.

وأورد في خاتمتها ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧] فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة![1].

٣- «وذكر الكرْمانِيُّ في العجائب مثله، وقال في سورة «ص»: بدأها بالذكر وختمها به في قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [يوسف:١٠٤].

٤- وفي سورة «ن» بدأها بقوله: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم:٢] وختمها بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم:٥١]»[2].

٥- سورة الحشر: مطلعها قولُه سبحانه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر:١]، وفي آخرها: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر:٢٤]، والعلاقة ظاهرة.

٦- سورة المُمْتَحَنة: ومَقصِدُها الولاءُ والبراء، مَطلَعُها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة:١]، وخاتمتها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ [الممتحنة:١٣]، وكلاهما في النَّهي عن موالاة الكُفَّار.

٧- سورة طه: في مَطلَعِها ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه:٢]، وفي نهاياتها ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:١٢٣]، وكلاهما في بيان سبيل السَّعادة ودفع الشَّقاء.

٨- سورة العَنكَبُوت: في أوائلها ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ [العنكبوت:٦]. وفي آخرها ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩]، وكلاهما حديث عن مجاهدة النَّفس، والأمر به، ثمَّ أثره وفائدته.

٩- قولُه تعالى في أوَّل سورة البقرة: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾

---

(١) الكشَّاف ٣/ ٢٠٧.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ٣/ ٣٧٩-٣٨٠.

[البقرة:٣]، ثمَّ قال في آخر السُّورة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥] ففي أوَّل السُّورة يذكر صفات المُتَّقِينَ الَّتي يتميَّزون بها؛ وفي آخر السُّورة يبيِّن أنَّ الرَّسول ﷺ والذين آمنوا معه قد امتثلوا تلك الصِّفات وتحلَّوا بها[1].

المطلب الرَّابع: المناسبة بين مطلع السُّورة ومطلع السُّورة الَّتي تليها:

من المُناسَبات الَّتي ذكرها العلماء وأفردوها بقسم خاصٍّ المُناسَبات بين مطالع السُّوَر المتجاورات؛ وقد مثَّلوا لذلك بما يأتي:

- مطلع سورة البقرة مع سورة آل عِمرانَ، كلتاهما بدأت بـ﴿الٓمٓ﴾، ثمَّ ذكر الكتاب: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة:٢] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [آل عمران:٢] ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [آل عمران:٣]؛ في إشارة لعظيم أمر القرآن الكريم وتقديمه على غيره.

- «وكذلك مناسبة فاتحة سورة الإسراء بالتَّسبيح، وسورة الكهف بالتَّحميد؛ لأنَّ التَّسبيح حيث جاء مقدَّم على التَّحميد، يقال: سُبحانَ الله، والحمدُ الله»[2].

- لما افتُتحت سورةُ الأنبياء بقوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾ [الأنبياء:١]، وكان في مَعرِض التَّهديد... اتَّصل بذلك ما يناسبه من الإعلام بِهَول السَّاعة وعظيم أمرها، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ [الحج:١] ﴿يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ [الحج:٢]»[3]، وهو أقلُّ الأنواع ذكرًا، ولو ضُمَّ إلى القسم الأوَّل لكان أولى.

المطلب الخامس: المناسبة بين سورتين أمر الشَّارع بجمعهما:

---

(١) وانظر إلى مزيد من الأمثلة: كتاب الشَّيخ مصطفى مسلم مباحث في التَّفسير الموضوعيِّ، ص٧٤.

(٢) البرهان في علوم القرآن، للزَّركشيِّ ٣٩/١.

(٣) البرهان في ترتيب سور القرآن، للغرناطيِّ ص ٢٥٦.

وهذا المطلب يتحدَّث عن المناسبة بين سورتين جاء النَّصُّ بالأمر بقراءتهما في صلاة أو موضع معيَّن، ولا أعني بذلك السُّوَر المتتالية، مثل المُعوِّذتين، والزَّهراوين، و(سَبِّحْ) والغاشية، فهذه تقدَّم الحديثُ عنها في المطلب الأوَّل، ولكنِّي أخصُّ هنا بالكلام السُّوَرَ الَّتي ندب الشَّارع لقراءتها في موضع، وهي غير متتالية في المصحف، ولم أجد من نبَّه عليه تأصيلًا، وأمَّا تطبيقًا فالكثير من العلماء يمثِّلون له، ويذكرون أوجه المناسبة في ذلك.

وإليكم أمثلةً لبعض صور هذا النَّوع:

- سورة الكافرون والإخلاص:

أمر الشَّرع بقراءتهما في سُنَّة الفجر(١)، وسُنَّة المغرب(٢)، وبعد الطَّواف(٣)، والوِتر(٤).

يقول ابن القَيِّم عن سورتي (الكافرون والإخلاص): «وقد جمع ﷺ هذين النَّوعين من التَّوحيد في سورتي الإخلاص، وهما: سورة (قُلْ يا أيُّها الكافرون) المتضمِّن للتَّوحيد العمليِّ الإراديِّ، وسورة (قل هو الله أحد) المتضمِّنة للتَّوحيد العلميِّ الخبريِّ. فسورة (قل هو الله أحد) فيها بيانُ ما يجب لله تعالى من صفات الكمال، وبيانُ ما يجب تنزيهه من النَّقائص والأمثال. وسورة (قل يا أيُّها الكافرون) فيها إيجابُ عبادته وحده لا شريك له والتَّبرُّؤ من عبادة كلِّ ما سواه، ولا يتمُّ أحد التَّوحيدين إلَّا بالآخر، ولهذا كان النَّبيُّ ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب رَكعتَي سُنَّة الفجر، والحثُّ عليهما، وتخفيفهما، والمحافظة عليهما، وبيان ما يُستَحبُّ أن يُقرأ فيهما، رقم (٧٢٦).

(٢) أخرجه النَّسائيُّ: كتاب الافتتاح، باب القراءة في الرَّكْعَتَين بعد المغرب، رقم (٩٩٢).

(٣) أخرجه مسلم عن جابر: كتاب الحجِّ، باب حَجَّة النَّبيِّ ﷺ، رقم (١٢١٨).

(٤) أخرجه أحمد في المسند عن عبد الله بن عبَّاس: رقم (٢٧٢٠)، قال التِّرمِذيُّ في سننه ١/ ٥٨٥: «وفي الباب عن عليٍّ، وعائشة، وعبد الرَّحمن بن أبزى، عن أُبَيِّ بن كعب».

يقرأ بهاتين السُّورتين في سُنَّة الفجر والمغرب والوتر اللتين هما فاتحة العمل وخاتمته؛ ليكون مبدأ النَّهار توحيدًا وخاتمته توحيدًا»[1].

- ق والقمر:

قال الإمام ابن كَثِير: «في حديث أبي واقد أنَّ رسول الله ﷺ كان يقرأ بقاف، واقتربت السَّاعة، في الأضحى والفِطر[2]، وكان يقرأ بهما في المحافل الكبار، لاشتمالهما على ذكر الوعد والوعيد، وبَدْء الخلق وإعادته، والتَّوحيد، وإثبات النُّبوَّات، وغير ذلك من المقاصد العظيمة»[3].

- السَّجدة والإنسان:

عن أبي هريرة ﷺ قال: «كان النَّبيُّ ﷺ يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة: (الم تنزيل)، و(هل أتى على الإنسان)»[4].

«وسُئل -يعني شيخ الإسلام ابن تيميَّة- عمَّن قرأ سورة السَّجدة يوم الجمعة: هل المطلوب السَّجدة؛ فيُجزِئ بعضُ السُّورة والسَّجدة في غيرها؟ أم المطلوب السُّورة؟

فأجاب: الحمد لله، بل المقصود قراءة السُّورتين: (الم تنزيل)، و(هل أتى على الإنسان)؛ لما فيهما من ذكر خلق آدم، وقيام السَّاعة وما يَتْبَع ذلك؛ فإنَّه كان يوم الجمعة، وليس المقصود السَّجدة، فلو قصد الرَّجل قراءة سورة سجدة أخرى كره ذلك. والنَّبيُّ ﷺ يقرأ السُّورتين كلتيهما؛ فالسُّنَّة قراءتهما بكمالهما...»[5].

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلاميَة، لابن قيِّم الجوزيَّة ٢/٩٤.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب صلاة العيدين، باب ما يُقرأ به في صلاة العيدين، رقم (٨٩١).

(٣) تفسير ابن كثير ٧/٤٧٠.

(٤) مُتَّفق عليه، صحيح البخاريِّ، أبواب سجود القرآن، باب سجدة تنزيل السَّجدة، رقم (٨٩١)، مسلم: كتاب الجمعة، باب ما يُقرأ في يوم الجمعة، رقم (٨٨٠).

(٥) مجموع الفتاوى ٢٤/٢٠٦.

وقال ابن القَيِّم: «وسمعت شيخ الإسلام ابن تيميَّة يقول: إنَّما كان النَّبيُّ ﷺ يقرأ هاتين السُّورتين في فجر الجمعة؛ لأنَّهما تضمَّنتا ما كان ويكون في يومها، فإنَّهما اشتملتا على خَلْق آدم، وعلى ذكر المَعاد، وحشر العباد، وذلك يكون يوم الجمعة، وكان في قراءتهما في هذا اليوم تذكير للأمَّة بما كان فيه ويكون، والسَّجدة جاءت تَبَعًا ليست مقصودة حتَّى يَقصِد المصلِّي قراءتها حيث اتَّفقت»[1].

---

(١) زاد المعاد ١/٣٦٤.



المبحث الثَّاني: المُناسَبات في الآيات

بعد ذكر المُناسَبات بين السُّوَر وفي السُّورة؛ ننتقل إلى المُناسَبات بين الآيات وفي الآيات، وكلام العلماء فيه أكثر، لاتِّفاقهم على أنَّ ترتيب الآيات توقيفيٌّ، ولظهور المناسبة في غالب الأحوال، وتحت هذا المبحث خمسة مطالب:

المطلب الأوَّل: المناسبة بين الآية والَّتي تليها.

المطلب الثَّاني: المناسبة بين الآية وخاتمتها.

المطلب الثَّالث: المناسبة بين الجمل المعطوفة.

المطلب الرَّابع: المناسبة في ترتيب المفردات المعطوفة.

المطلب الخامس: المناسبة بين القسَم والمُقْسَم به.

المطلب الأوَّل: المناسبة بين الآية والَّتي تليها:

قال الطَّاهر بن عاشور: «ولَمَّا كان يقين الآيات الَّتي أمر النَّبيُّ ﷺ بوضعها في أماكنها في موضع معيَّن غيرَ مَرْويٍّ إلَّا في عدد قليل؛ كان حقًّا على المفسِّر أن يتطلَّب مناسبات لمواقع الآيات، ما وجد إلى ذلك سبيلًا»[1].

وهذا من أوضح أنواع المُناسَبات وأظهرها، ولكنَّ مناسبة الآية بالتي تليها على نوعين:

الأوَّل: الآيتان المرتبطتان بأيِّ نوع من أنواع الارتباط؛ فلا إشكال فيه، وهو متَّفَق عليه، كالقصص والأحكام ونحوه.

والثَّاني: لا يظهر فيه الارتباط، وهو الَّذي يحتاج إلى بحث.

قال الزَّركشيُّ: «ذكر الآية بعد الأخرى إمَّا أن يظهر الارتباط بينهما لتعلُّق الكلام بعضِه ببعض، وعدم تمامه بالأُولى فواضح، وكذلك إذا كانت الثَّانية للأولى على جهة التَّأكيد والتَّفسير أو الاعتراض والتَّشديد، وهذا القسم لا كلام فيه.

وإمَّا ألَّا يظهر الارتباط، بل يظهر أنَّ كُلَّ جملة مستقلَّة عن الأخرى، وأنَّها خلاف النَّوع المبدوء به؛ فإمَّا أن تكون معطوفة على ما قبلها بحرف من حروف العطف المشترك في الحكم أو لا:

القسم الأوَّل: أن تكون معطوفة، ولا بُدَّ أن تكون بينهما جهة جامعة على ما سبق تقسيمه، كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [الحديد:٤]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٤٥]، وفائدة العطف: جعلهما كالنَّظيرين والشَّريكين.

(١) التَّحرير والتَّنوير ٨٠/١.

وقد تكون العَلاقة بينهما المضادَّة؛ وهذا كمناسبة ذكر الرَّحمة بعد ذكر العذاب، والرَّغبة بعد الرَّهبة، وعادة القرآن العظيم إذا ذكر أحكامًا ذكر بعدها وعدًا ووعيدًا، ليكون ذلك باعثًا على العمل بما سبق، ثمَّ يذكر آيات التَّوحيد والتَّنزيه؛ ليعلم عِظَم الآمر والنَّاهي، وتأمَّل سورة البقرة والنِّساء والمائدة وغيرها تجده كذلك.

القسم الثَّاني: وقد تأتي الجملة معطوفةً على ما قبلها، ويُشْكِل وجهُ الارتباط؛ فتحتاج إلى شرح، ونذكر من ذلك صورًا يلتحق بها ما هو في معناها:

فمنها قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ [البقرة:١٨٩] الآية.

فقد يقال: أيُّ رابط بين أحكام الأهِلَّة وبين حُكم إتيان البيوت؟ والجواب من وجوه...»[(١)].

وهذه بعض الأمثلة لهذا النَّوع من المُناسَبات:

«١- في سورة النِّساء: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ [الآيات:٥١-٥٧].

هذه الآيات نزلت في كعب بن الأشرف عندما ذهب إلى مكة، بعد انتصار المسلمين في بدر، يحرِّض المشركين على الأخذ بثأرهم، فسألوه: من أهدى سبيلًا، المؤمنون أم المشركون؟ فقال: بل أنتم، أنتم أهدى من المؤمنين سبيلًا. أخرج عبد الرَّزاق، وابن جرير عن عكرمة، أن كعب بن الأشرف انطلق إلى المشركين من كفَّار قريش فاستجاشهم على النَّبيِّ ﷺ، وأمرهم أن يغزوه، وقال: إنَّا معكم نقاتله، فقالوا: إنَّكم أهل كتاب، وهو صاحب كتاب، ولا نأمن أن يكون هذا مكرًا منكم،

(١) البرهان ١/٤٠.

فإن أردت أن نخرج معك فاسجد لهذين الصَّنَمين، وآمِنْ بهما؛ ففعل. ثمَّ قالوا: نحن أهدى أم محمَّد؟ فنحن نَنحرُ الكَوْماءَ، ونسقي اللبن على الماء، ونصل الرَّحمَ، ونَقرِي الضَّيفَ، ونطوف بهذا البيت. ومحمَّد قطع رَحِمَه، وخرج من بلده. قال: بل أنتم خيرٌ وأهدى؛ فنزلت فيه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء:٥١] الآية.

وجاء بعد هذه الآيات قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨].

وهذه الآية نزلت في شأن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العَبْدَرِيِّ، صاحب سِدانة الكعبة، لَمَّا أخذ منه رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة يوم الفتح، ثمَّ ردَّه عليه.

وبين الآيتين ستُّ سنوات، ومع ذلك فالمناسبة بين الآيات الأولى والآية الأخيرة في غاية الوضوح، حيث ذكر المفسِّرون: أنَّ أحبار اليهود كانوا على اطِّلاع بما في كتبهم من وصف محمَّد ﷺ، وأخذت عليهم المواثيق للإيمان به ونصرته: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران:٨١]، ثمَّ خان هؤلاء الأحبارُ هذه الأمانةَ، ونقضوا الميثاق، ولم يؤدُّوا هذه المسؤولية، فالسِّياقُ سياقُ تحمُّلِ مسؤولية وأمانة، وأدائها على الوجه المطلوب المبرئ للذِّمَّة.

فالموضوع واحد، والسِّياق منسجم تمامًا، على الرَّغم من وجود الفاصل الزَّمنيِّ.

٢- المُناسَبات بين الآيات الكريمة في سورة البقرة:

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥].

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة:٢٦٥].

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ [البقرة:٢٥٨].

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [البقرة:٢٥٩].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٠].

﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٠].

فمن الممكن أن يقال: إنَّ آية الكرسيِّ قد بيَّنت صفات الجلال والكمال لله سبحانه وتعالى، وإذا كان الأمر كذلك فإن الله سبحانه الَّذي يزيد هذه الفطرة نورًا وضياء، إذا التبسَ بها شيءٌ أنقذها من تلك الظُّلمات إلى النُّور.

ومن الأمثلة على انحراف التَّفكير: نَمْرُوذ الَّذي زعم في نفسه الألوهيَّة؛ علمًا أنَّه أدرى النَّاس بحقيقة عجزه. ثمَّ تفسيره للإحياء والإماتة، ولكنَّه بُهِتَ عندما أجابه نبيُّ الله إبراهيم بأنَّ من شأن الإله التَّصرُّف المُطلق في الكون.

ثمَّ عقَّب على ذلك بأنَّ حقيقة الإماتة والإحياء ما حدث لعبد الله الصَّالح عُزَير وحماره، وما أجراه الله سبحانه وتعالى على يد خليله إبراهيم عليه السَّلام في إحياء الطَّير الأربعة، ثمَّ انتقل إلى إحياءٍ من لونٍ آخرَ: وهو إحياء النُّفوس بالصَّدقة والإنفاق في سبيل الله، وموت النُّفوس وخنق الأجر وإماتته بالمنِّ والأذى.

٣- ومثال آخر في سورة الزُّمَر:

السُّورة مَكِّيَّة كُلُّها؛ إلَّا قولَه تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزُّمَر: ٣٥-٥٥].

فقد نزلت هذه الآيةُ في المدينة، وذكروا سببًا لنزولها:

أخرج الشَّيخان عن ابن عبَّاس، أنَّ ناسًا من أهل الشِّرك كانوا قد قتلوا فأكثروا، وزَنَوا فأكثروا، فأتَوا محمَّدًا ﷺ، فقالوا: إنَّ الَّذي تقول وتدعو إليه لحسَن،

لو تخبرنا أنَّ لِما عَمِلْنا كفَّارةً؛ فنزل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان:٦٨] ونزل: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر:٥٣].

وفي رواية محمَّد بن إسحاق قال نافع: عن عبد الله بن عمر، عن عمرَ ﷺ في حديثه قال: كنَّا نقول: ما اللهُ بقابلٍ مِمَّن افْتُتِنَ صَرفًا ولا عَدْلًا ولا توبةً، عرفوا الله، ثمَّ رَجَعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم. قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم. قال: فلمَّا قَدِم رسول الله ﷺ المدينة أنزل الله تعالى فيهم في قولنا وقولهم: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر:٥٣] إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزُّمَر:٥٥]. قال عمر ﷺ: فكتبتها بيدي في صحيفة، وبعثت بها إلى هشام ابن العاص ﷺ فقال هشام: لمَّا أتتني جعلت أقرؤها بذي طُوى، أُصَعِّد بها فيه وأُصَوِّب ولا أفهمها! حتَّى قلت: اللَّهُمَّ أفهِمْنِيها. قال: فألقى الله ﷻ في قلبي أنَّها إنَّما أُنزِلت فينا، وفيما كنَّا نقول في أنفسنا، ويُقال فينا، فرَجَعت إلى بعيري فجلست عليه، فلحقت برسوله الله ﷺ بالمدينة[1].

فالآيات مدنيَّة كما تفيد روايات أسباب النُّزول، إلَّا أنَّ وضعها في السُّورة المكِّيَّة منسجم تمام الانسجام مع ما قبلها وما بعدها، واقرأ الآيات: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٢-٥٦].

---

(١) تفسير ابن كثير ٧/ ١٠٩.

«فنجد أنَّ الآيات متلاحمةٌ تمام التَّلاحم، فلمَّا كان بسطُ الرِّزق والتَّضييقُ فيه مَظِنَّةَ الإسراف على النَّفس، فمع البسط التَّرَف، وارتكاب المحرَّمات والموبقات، وصرفه على الشَّهوات... فاقتضت الحكمة الإلهيَّة عدم التَّيئيس من رحمة الله تعالى، وفتح باب التَّوبة لهم»[1].

- «تأمَّل كيف ربط بين السَّبب والمسبَّب في قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣، ٤]، وهذا ظاهر في أولى آيات المصحف: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] والمعنى: أنَّه سبحانه مُستَحِقٌّ للحمد؛ لأنَّه ربُّ العالمين، وخالقُهم ورازقهم، وقرَّر هذا في أوَّل نداء في المصحف: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ ثمَّ بَيَّنَ السَّبَبَ بقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة:٢١]»[2].

- قال القرطبيُّ رحمه الله: «وصف الله تعالى نفسَه بعد قوله (ربِّ العالمين) بأنه (الرَّحمن الرَّحيم)؛ لأنه لمَّا كان في اتصافه (ربِّ العالمين) ترهيبٌ، قرنه بـ(الرَّحمن الرَّحيم) لما تضمَّنه من الترغيب، ليجمعَ في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه، فيكونَ أعونَ على طاعته وأمنعَ من معصيته»[3].

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «ذكر سبحانه آية النور عَقِيبَ آيات غضِّ البصر فقال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ﴾؛ فمن غضَّ بصره عن الحرام أطلق الله نور بصيرته، وفتح عليه من العلم»[4].

---

(١) مباحث في التَّفسير الموضوعيِّ، لمصطفى مسلم ص ٧١.

(٢) كتاب ليدَّبَّروا آياته ص ٦٨٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١/١٣٩.

(٤) مجموع الفتاوى ٢١/٢٥٧.

المطلب الثَّاني: المناسبة بين الآية وخاتمتها:

وهذا النَّوع متَّفق عليه، وينبِّه عليه المفسِّرون كثيرًا، وقد تنبَّه له الأعراب الَّذين لم تخالط فصاحَتَهم عُجمةٌ، «قال الأصمعيُّ: قرأتُ هذه الآيةَ ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة:٣٨] وإلى جنبي أعرابيٌّ، فقلت: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ سهوًا، فقال الأعرابيُّ: كلامُ مَن هذا؟ قلت: كلام الله. قال: أعِدْ، فأعدتُ: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. فقال: ليس هذا كلامَ الله. فتنبَّهت، فقلتُ: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. فقال: أصبتَ، هذا كلام الله. فقلت له: أتقرأ القرآن؟ قال: لا، قلت: فمن أين علمتَ أنِّي أخطأتُ؟ فقال: يا هذا، عَزَّ فحَكَمَ فقَطَعَ، ولو غَفَرَ ورَحِمَ لَمَا قطع»[1].

وفي قوله ﷻ: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٠٩]. «رُوي أنَّ قارئًا قرأ: (غفورٌ رحيمٌ). أي: بدل ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. فسمعه أعرابيٌّ فأنكره، ولم يكن يقرأ القرآن، وقال: إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا، الحكيمُ لا يذكر الغفران عند الزَّلَل؛ لأنَّه إغراء عليه. وقد رُوي عن كعب نحوُ هذا، وأنَّ الَّذي كان يتعلَّم منه أقرأه: فاعلموا أنَّ الله غفور رحيم، فأنكره حتَّى سمع: ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فقال: هكذا ينبغي!»[2].

ومن أمثلة ذلك:

خَتْمُ الآياتِ بأسماء الله الحسنى فيه مناسبة ظاهرة، وارتباط واضح، وأثر كبير في إتمام المعنى وتجليته، كما في:

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزُّمر:٥٣]، فانظر إلى وَقْع اسم (الغفور الرَّحيم) على النفوس بعد دعوته للتَّوبة، فكيف لا يغفر وهو الغفور الرَّحيم؟ سبحانه!

---

(١) زاد المسير، لابن الجوزيِّ ١/٥٤٦.

(٢) مفاتيح الغيب أو التَّفسير الكبير، للرازي ٥/ ٣٥٦.

وكقوله تعالى: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزُمَر:٤]، فالواحد لا يكون معه ولدٌ ثانٍ، والقهّار لا يحتاج إلى ولد يُعِينه، كما هو حال المخلوقين، فأكّد معنى الآية بِخَتْمها بهذين الاسمين الكريمين.

وكقوله تعالى: ﴿وَٱلَّـٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء:٣٤].

«قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء:٣٤] تهديد للرِّجال إذا بَغوا على النِّساء من غير سبب، فإنَّ الله العليَّ الكبير وَلِيُّهنَّ، وهو منتقم مِمَّن ظلمهنَّ وبغى عليهنَّ»[1].

- «﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى:٢٨] ومناسبة خَتْم الآية بهذين الاسمين الكريمين: ﴿ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ دون غيرهما؛ لمناسبتهما للإغاثة؛ لأنَّ الوليَّ يُحسِن إلى مواليه، والحميد يعطي ما يُحمَد عليه»[2].

وخاتمة الآيات في غير أسماء الله تعالى لها أثر كبير أيضًا، مثل:

- قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة:٢٠٣]. «لمَّا كان الحجُّ حشرًا في الدُّنيا، والانصراف منه يشبه انصرافَ أهل الموقف بعد الحشر عن الدُّنيا؛ فريقًا إلى الجنَّة وفريقًا إلى السعير، ذكَّرهم بذلك بقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فاعملوا لِما يكون سببًا في انصرافكم منه إلى دار كرامته، لا إلى دار إهانته»[3].

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٢٩٦.

(٢) كتاب ليدَّبَّروا آياته ص ٥٢٣.

(٣) المرجع السَّابق ص ٩٨.

المطلب الثَّالث: المناسبة بين الجمل المعطوفة:

وهذا باب من المُناسَبات لطيف ومهمٌّ في التَّفسير، وفيه الإشارة إلى بيان مناسبة عطف الجمل بعضِها على بعض في الآية، وفيه أسرار وحِكَم عظيمة، فمن أمثلة ذلك:

- قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور:٣٠]. «قرَنَ الله النَّهي عن النَّظر إلى المحارم بذكر حفظ الفَرْج، فقال: ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ تنبيهًا على عِظَم خطر النَّظر؛ فإنَّه يدعو إلى الإقدام على الفعل»[1]، فهو من عطف المسبَّب على السَّبب.

- وقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:١٨]. فإمَّا أن يتَّبع العبد شريعة الله، أو أن يتَّبع هواه.

- وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَـٰذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فُصِّلَت:٢٦]. «والمناسبة بين الجملتين هي: عطف السَّبب على المسبَّب، فاللغو يمنع كمال الاستماع والانتفاع بكلام الله»[2].

- وقوله جلَّ جلاله: ﴿الشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة:٢٦٨]. كنت في زيارة لبعض علماء اليمن، فقال لي: هناك دعوة قويَّة في اليمن لفتح باب السِّياحة على مصراعَيه، وإن لم يتمَّ ذلك فشبح الفقر سيبقى قابعًا، ثمَّ تلا هذه الآية ﴿الشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة:٢٦٨]، فالشَّيطان يهدِّد بالفقر إن لم تُفتَح أبواب الفواحش في السِّياحة وغيرها، فأعجبني استنباطه!

- «الذُّنوب تؤخِّر النَّصر، والاستغفار يعجِّل به. ﴿قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَـٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٧]»[3].

---

(١) لطائف الإشارات، للقُشيريِّ ٢/٦٠٧.

(٢) مبادئ تدبُر القرآن ص ٩٦.

(٣) المرجع السَّابق ص ٥٧.

- «ذكرُ الله والهوى ضِدَّان، كلَّما لَهِجَ اللسان بالذِّكر نَفَر الهوى من القلب ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الكهف:٢٨]»[١].

- «تأمَّل كيف قرن الله بين أكل الطَّيبات وعمل الصَّالحات في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون:٥١]. فأكلُ الحلال الطَّيِّب مِمَّا يُعين العبدَ على فعل الصَّالحات، كما أنَّ أكل الحرام أو الوقوع في المشتَبِهات ممَّا يثقل العبد عن فعل الصَّالحات»[٢].

- وقال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم:٥٩]. أكثر النَّاس صلاةً أشدُّهم ضبطًا لشهَواته، ولا تغلب الشَّهَواتُ إلَّا من أضاع الصَّلوات»[٣].

- ويقول سبحانه: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥].

«اتَّفق المفسِّرون على أنَّ المعنى: إن تركتُم النَّفقة هلكتُم»[٤].

---

(١) المرجع السَّابق ص ٦٨.

(٢) كتاب ليدَّبَّروا آياته ص ٤٠٦.

(٣) المرجع السَّابق ص ٨٣.

(٤) المرجع السَّابق ص ١١٤.

المطلب الرَّابع: المناسبة في ترتيب المفردات المعطوفة:

في المطلب السَّابق الحديث عن الجمل المعطوفة، وأمَّا هذا المبحث فالحديث فيه سيكون عن المفردات المعطوفة، والمناسبة بينها، ويسمِّيه بعضُ العلماء النَّظمَ القرآنيَّ، ويَقصِدون به بيانَ أوجه المناسبة بين المعطوفات في الآيات، وسببِ تقديم هذا وتأخير ذاك.

قال مصطفى صادق الرَّافعي: «وما يَشِذُّ في القرآن الكريم حرفٌ واحد عن قاعدة نظمه المُعجِز؛ حتَّى إنَّك لو تدبَّرت الآيات الَّتي لا تقرأ فيها إلَّا ما يسرده من الأسماء الجامدة، وهي بالطَّبع مَظِنَّة ألا يكونَ فيها شيءٌ من دلائل الإعجاز؛ فإنَّك ترى إعجازها أبلغَ ما يكون في نظمها وجهات سردها، ومن تقديم اسمٍ على غيره أو تأخيره عنه؛ لنظم حروفه ومكانه من النُّطق في الجملة، أو لنُكتةٍ أخرى من نُكت المعاني الَّتي وردَت فيها الآية، بحيث يوجِد شيئًا فيما ليس فيه شيء. تأمَّل قوله: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ [الأعراف:١٣٣] فإنَّها خمسة أسماء، أخفُّها في اللفظ: «الطُّوفان، والجراد، والدَّم»، وأثقلها: «القُمَّل، والضَّفادع»؛ فقدَّم «الطُّوفان» لمكان المَدَّين فيها؛ حتَّى يأنس اللسان بخِفَّتها؛ ثمَّ الجراد وفيها كذلك مدٌّ، ثمَّ جاء باللفظين الشَّديدين مبتدئًا بأخفِّهما في اللسان، وأبعدهما في الصَّوت لمكان تلك الغُنَّة فيه، ثمَّ جِيء بلفظة «الدَّم» آخرًا، وهي أخفُّ الخمسة وأقلُّها حروفًا؛ لِيُسرعَ اللسان فيها، ويستقيمَ لها ذوق النَّظم، ويتمَّ بها هذا الإعجاز في التَّركيب. وأنت فمهما قلَّبتَ هذه الأسماءَ الخمسة؛ فإنَّك لا ترى لها فصاحةً إلَّا في هذا الوضع، لو قدَّمت أو أخَّرت لبادرك التَّهافت والتَّعثُّر، ولَأَعيَتك أن تجيءَ منها بنظم فصيح»[1].

---

(١) تاريخ آداب العرب ٢/١٥٥.

ومن أمثلة هذا الباب:

- قوله تعالى: ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب:٧]. وترتيب الأنبياء في الآية ترتيب زمني كما هو ظاهر.

- وقوله سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا ﴾ [التوبة:٢٤]. «وتأمَّل هذا التَّرتيب البديع في تقديم ما قدَّم، وتأخير ما أخَّر يُطْلعك على عظمة هذا الكلام وجلالته؛ فبدأ أوَّلًا بذكر أصول العبد؛ وهم آباؤه المتقدِّمون طبعًا وشرفًا ورتبة، وكان فخر القوم بآبائهم ومحاماتُهم عنهم أكثرَ من محاماتهم عن أنفسهم وأموالهم، وحتَّى عن أبنائهم؛ ولهذا حملتهم محاماتهم عن آبائهم ومناضلتهم عنهم إلى أن احتملوا القتل وسبي الذُّرِّيَّة، ولا يشهدون على آبائهم بالكفر والنَّقيصة، ويرغبون عن دينهم لِمَا في ذلك من إزرائهم بهم. ثمَّ ذكر الفروع، وهم الأبناء؛ لأنَّهم يَتْلُونَهم في الرُّتبة، وهم أقرب أقاربهم إليهم، وأعلق بقلوبهم، وألصق بأكبادهم من الإخوان والعشيرة. ثمَّ ذكر الإخوان، وهم الكلالة وحواشي النَّسب. فذكر الأصول أوَّلًا، ثمَّ الفروع ثانيًا، ثمَّ النُّظراء ثالثًا، ثمَّ الأزواج رابعًا، لأنَّ الزَّوجة أجنبيَّة عنده، ويمكن أن يتعوَّض عنها بغيرها..»[١].

- وقوله ﷻ: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾ [آل عمران:١٤]:

والظَّاهر أنَّ التَّرتيب على حَسَب شهَوات العمر، فالرَّجل إذا بلغ الحُلم كانت شهوة النِّساء غالبة، ثمَّ إذا تزوَّج اشتهى الولد، فإذا كثر أولاده اشتهى الأموال، فإذا تحصل المال اشتهى المركب الحسن (الخيل المُسَوَّمة)، فإذا حصل ذلك وبلغ الكِبَر تمنَّى الأنعام، ثمَّ الحَرْث (المزرعة) ليضع فيها نَعَمَه.

---

(١) بدائع الفوائد، لابن القيِّم ٧٥/١.

- و «من أسرار التَّرتيب في القرآن في قوله ﷻ: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة:١٢٥]، فذكر أخصَّ هذه الثَّلاثة، وهو الطَّواف الَّذي لا يجوز إلَّا بالبيت، ثمَّ ذكر الاعتكاف، وهو أعمُّ من الطَّواف؛ لأنَّه لا يكون إلَّا في المساجد فقط، ثمَّ ذكر الصَّلاة الَّتي تعمُّ سائر بقاع الأرض سوى ما استُثنِيَ شرعًا»[1].

- وقوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٦]. فقد «بدأ بالأخ، ثمَّ بالأبوين؛ لأنَّهما أقرب منه، ثمَّ بالصَّاحبة والبنين؛ لأنَّهم أقرب وأحبُّ، كأنَّه قال: يفرُّ من أخيه، بل من أبويه، بل من صاحبته وبنيه»[2].

- وقوله تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ [المعارج:١١-١٤]. في مقام الفِرار كان التَّرَقِّي من الأدنى إلى الأعلى، ولكنْ في مقام الفِداء كان التَّرَقِّي من الأعلى إلى الأدنى، فهو مستعدٌّ لأن يفتديَ من العذاب بأقرب النَّاس له، فإن لم يَفدِ جاء بمن وراءه وهكذا[3].

- وقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [فاطر:٣٢]. قيل في سبب تقديم الظَّالم لنفسه على السَّابق بالخيرات، مع أنَّ السَّابق أعلى مرتبةً منه: لئلَّا ييئس الظَّالم من رحمة الله، وأخَّر السَّابق لئلَّا يُعجَب بعمله[4].

وقيل: قدم الظَّالم لكثرته، يعني في الأمَّة، ثمَّ المقتصد وهو أقلُّ مِمَّن قبله، ثمَّ السَّابقين وهم أقلُّ. فإن قلت: لِمَ قَدَّم الظَّالم ثمَّ المقتصد ثمَّ السَّابق؟ قلت: للإيذان بكثرة الفاسقين وغَلَبَتِهم، وأنَّ المقتصدين قليلٌ بالإضافة إليهم، والسَّابقون أقلُّ من القليل[5].

---

(١) كتاب ليدَّبَّروا آياته ص ٦٦.

(٢) الكشَّاف، للزَّمخشريِّ ٤/٧٠٥

(٣) انظر: لمسات بيانيَّة، للدُّكتور فاضل السَّامرائي ص ١٩٣.

(٤) تفسير الثَّعلبيِّ (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) ٨/ ١٠٧.

(٥) الكشَّاف، للزَّمخشريِّ ٣/ ٦١٣.

المطلب الخامس: المناسبة بين المُقسَم به والمُقسَم عليه:

من المُناسَبات اللطيفة في الآيات: المناسبة بين المقسَم به والمقسَم عليه[1]، فغالب الأمور الَّتي أقسم الله تعالى بها لها عَلاقةٌ عجيبة بالمقسم عليه، وأركانُ القسم -كما هو معلوم في اللغة- أربعةٌ: فِعلُ القَسَم، وأداة القَسَم، والمُقْسَم به، والمُقْسَم عليه، نحو: أُقسِم بالله لأتَصَدَّقنَّ، فـ(أُقسِمُ) فعل القسَم، ويحذف كثيرًا؛ لذلك لا يجعله بعضهم من أركان القسم، و(الباء) أداة القسَم. وأدوات القسم ثلاث: الباء والتَّاء والواو، ولفظ الجلالة (الله) مُقسَم به، و(لأتصدَّقنَّ) مُقسَم عليه، ويسمَّى جواب القسَم؛ ومنه قوله تعالى: ﴿أَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ [المائدة:٥٣]. والمخلوق لا يقسم إلَّا بالخالق، والخالق ﷻ يقسم بما شاء؛ لذلك فالمقصود بهذا الباب أقسام الخالق ﷻ.

وإليك بعضَ الأمثلة على المناسبة بين القسَم وجوابه:

- قال تعالى: ﴿وَالْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾... ﴿إِنَّ الْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ١-٦]. أقسمَ بالخيل الَّتي تَفدِي صاحبها بنفسها لقاء طعامها وشرابها، والإنسانُ -مع ما أغدق اللهُ عليه من النِّعَم الَّتي لا تُحصى- لربِّه كَنُود. أي: جَحُود للنعمة، «ومناسبة ذلك تذكير الجاحد بأنَّ الخيل لا ينسى فضل مالكه عليه؛ فيورد نفسه المهالك لأجله؛ تقديرًا لنعمة المنعم، فلا تكن البهيمةُ خيرًا وأوفى منك أيُّها الإنسان»[2].

- وقال سبحانه: ﴿وَالْكِتَـٰبِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَ ٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزُّخرُف: ٢-٣]. المُقسَم به هو القرآن المبين، ومن بيانه: إنزاله بأفصح اللغات.

---

(١) انظر: بحث التَّناسُب بين القسَم المفرد وجوابه في القرآن الكريم، د. ناصر الدَّوسريُّ، نُشر في مجلَّة الدَّارسات الإسلاميَّة.

(٢) ليدَّبَّروا آياته ص ٦٧٧.

قال الزَّمخشريُّ: «وهو من الأيمان الحسنة البديعة، لتناسُب القسَم والمقسَم عليه، وكونهما من واد واحد»[1].

- ﴿يسٓ ١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [يس: ١ - ٣]. يقول الشَّيخ السَّعديُّ: «ولا يخفى ما بين المقسَم به -وهو القرآن الحكيم- وبين المقسَم عليه، وهو رسالة الرَّسول محمَّد ﷺ من الاتِّصال، وأنَّه لو لم يكن لرسالته دليلٌ ولا شاهد إلَّا هذا القرآن الحكيم لكفى به دليلًا وشاهدًا على رسالة محمَّد ﷺ، بل القرآن العظيم أقوى الأدلَّة المتَّصلة المستمرَّة على رسالة الرَّسول، فأدلَّة القرآن كلُّها أدلَّة لرسالة محمَّد ﷺ»[2].

- ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥، ٧٦]. قال الإمام ابن القيِّم: «المناسبة بين ذكر النُّجوم في القسَم وبين المقسَم عليه وهو القرآن من وجوه:

أحدها: أنَّ النُّجوم جعلها الله ليُهتدى بها في ظلمات البرِّ والبحر، وآياتُ القرآن يُهتدى بها في ظلمات الجهل والغيِّ، فتلك هداية في الظُّلمات الحسِّيَّة، وهدايةُ آياتِ القرآن في الظُّلمات المعنويَّة، فجمع بين الهدايتين، مع ما في النُّجوم من الرُّجوم للشَّياطين، وفي آيات القرآن رجومُ شياطين الإنس والجن»[3].

---

(١) الكشَّاف ٤/ ٢٣٦.

(٢) تيسير الكريم الرَّحمن ص ٦٣٨.

(٣) التِّبيان في أقسام القرآن ص ٢٢٠.



المبحث الثَّالث: المُناسَبات في المتشابهات

المطلب الأوَّل: المناسبة بين المتشابهات لفظًا.

المطلب الثَّاني: المناسبة بين المتشابهات معنًى.

المطلب الثَّالث: المناسبة بين المتشابهات وصفًا.

المطلب الرَّابع: المناسبة بين القراءات.

المطلب الأوَّل: المناسبة بين المتشابهات لفظًا:

في كتاب الله ﷻ الكثير من الآيات الَّتي تتشابه في لفظها ونظمها، واهتمَّ العلماء بها كثيرًا لمعرفة الحكمة في تَكرارها والفرق بينها، وقد ألَّف تاج القُرَّاء أبو القاسم الكَرْمانيُّ (ت ٥٠٥) في ذلك كتاب (أسرار التَّكرار في القرآن، المسمَّى البرهان في توجيه متشابه القرآن لِما فيه من الحُجَّة والبيان)[١]. وألَّف الشَّيخ عبد المحسن العبَّاد (آيات متشابهات الألفاظ في القرآن الكريم وكيف التَّمييز بينها). والمؤلَّفات في هذا الباب كثيرة، وأرجعَ العلماء المتشابهاتِ لفظًا في القرآن إلى ثلاثة أنواع:

١- تقديم وتأخير.

١- زيادة ونقصان.

٢- إبدال كلمة بأخرى.

فمن النَّوع الأوَّل (وهو التَّقديم والتَّأخير):

قولُه ﷻ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [البقرة:٤٨]، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [البقرة:١٢٣].

وسبب التَّقديم والتَّأخير: هو اختلاف عَوْد الضَّمير في قوله: (ولا يُقبَل)؛ ففي الآية الأولى يعود على النَّفس الأولى وهي الجازية، فهذه النَّفس تبدأ بالشَّفاعة، ثمَّ عند عدم القَبُول تتنقل إلى الفداء. وأمَّا الآية الثَّانية فالضَّمير يعود فيها على النَّفس الثَّانية وهي المَجْزِيُّ عنها، فهذه النَّفس تبدأ بالفداء، ثمَّ عند عدم القَبُول تبحث عن شفيع[٢].

(١) تحقيق عبد القادر عطا، ونشر دار الفضيلة.

(٢) انظر: تفسير الشَّعراويِّ ٣١٨/١.

وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ﴾ [البقرة:٢٦٤].

وقال ﷻ: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ [إبراهيم:١٨].

قال ابن جَماعة: «وسرُّ هذا التَّغايُر: أنَّ المثل هنا للعامل، فكان تقديمُ نفْيِ قدرته وصلتها أنسبَ، أمَّا آية (إبراهيم) فالمثل للعمل، لقوله: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾ [إبراهيم:١٨] تقديره: مثل أعمال الَّذين كفروا»(١).

ومن النَّوع الثَّاني (وهو الزِّيادة والنُّقصان):

قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة:١٢٦]، مع قوله، ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾ [إبراهيم:٣٥]، فزاد (ال) على (بلد)، والفرق بينهما: أنَّ إبراهيمَ ﷺ سأَلَ رَبَّه ﷻ أن يجعل مكَّة بلدًا آمنًا؛ لأنَّها كانت واديًا غير ذي زرع لا يسكنها أحد، فلمَّا سكنتْها جُرْهُم وأصبحت بلدًا سأل ربَّه ﷻ أن تكون آمنة. ففي الآية الأولى تُعرَب (بلدًا) مفعولًا به ثانيًا، وفي الآية الثَّانية تُعرَب (آمنًا) مفعولًا به ثانيًا(٢).

«قال تعالى في سورة الذَّاريات: ﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ [الذاريات:١٩]، وقال في سورة المعارج: ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥]

(١) كشف المعاني في المتشابه من المثاني، لابن جماعة ص ١٢٠.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، للرَّازيِّ ١٩/١٠٠، والكشَّاف، للزَّمخشريِّ ١/١٨٦.

فزاد في الآية الثَّانية كلمة (معلوم)، فلماذا؟ لعل السَّبب -والله أعلم- أنَّه في سورة المعارج: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ﴾ قال: (معلوم)؛ لأنَّ المقصود الزَّكاة المحدَّدة، والحديث قبلها عن الفرائض والواجبات: ﴿إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ [المعارج:٢٢]. أمَّا في سورة الذَّاريات: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [الذاريات:١٩] فالآيات قبلها في بيان فضل المتطوِّعين زيادة على الواجب: ﴿كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ [الذَّاريات: ١٦، ١٧] فناسبَ الإطلاقُ في الإنفاق دون تقييد؛ حيثُ المُرادُ ما زادَ على الواجب»[١].

ومن النَّوع الثَّالث (وهو إبدال كلمة بأخرى):

قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ﴾ [الأنعام:١٥١]، ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ [الإسراء:٣١] والفرق بينهما أنَّ قوله: ﴿مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ﴾ [الأنعام:١٥١] أي: الفقر، فيه أنَّ الفقر متحقِّق، فخوف الأب على نفسه أكبر، ولذلك قدَّمه في الاهتمام ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ﴾ [الأنعام:١٥١]، وأمَّا الآية الثَّانية ﴿خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖ﴾ [الإسراء:٣١] فالأبُ غنيٌّ ويخشى الفقر على ولده، فخوفُه على الابن؛ ولذلك قدَّمه في الاهتمام ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ [الإسراء:٣١].

قال الإمام ابن كَثِير: «وقوله: ﴿مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ﴾ [الأنعام:١٥١] قال ابن عبَّاس، وقتادة، والسُّدِّيُّ: هو الفقر. أي: ولا تقتلوهم من فقركم الحاصل. وقال في سورة «سبحان»: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖ﴾ [الإسراء:٣١] أي: خَشيةَ حُصولِ فقرٍ، في الآجل؛ ولهذا قال هناك: ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ [الإسراء:٣١] فبدأ برزقهم للاهتمام بهم، أي: لا تخافوا من فقركم بسببهم، فرِزقُهم على الله. وأمَّا في هذه الآية؛ فلمَّا كان الفقر حاصلًا قال: ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ﴾ [الأنعام:١٥١]؛ لأنَّه الأهمُّ ها هنا»[٢].

---

(١) ملاك التَّأويل، للغرناطيِّ ص ١٠٣٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٣٦٢/٣.

في قصَّة إبراهيم، عليه السَّلام، في سورة الأنبياء قال: ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴾[الأنبياء:٧٠]. وفي الصَّافَّات:﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴾[الصافات:٩٨]. وهي قصَّة واحدة، فما الحكمة فيه؟ والجواب: في سورة الأنبياء أخبر الله تعالى عن إبراهيم، عليه السَّلام، أنَّه كادَ أصنامهم ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم ﴾ [الأنبياء:٥٧]، وأخبر أنَّهم أرادوا أن يكيدوه كذلك ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا ﴾ [الصافات:٩٨] فتقابل الكَيدانِ، فلمَّا عاد عليهم كَيدُهم عَبَّر بالخسارة. وفي الصَّافَّات قال قبلها: ﴿ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [الصافات:٩٧]. فلمَّا رَمَوا نبيَّ الله من فوق البناء إلى أسفل عاقبَهم اللهُ من جنس عملهم، فجعلهم هم الأسفلين، وأصبح أمر نبيِّ الله عاليًا[1].

والأمثلة تحت هذه الأنواع الثَّلاثة كثيرة، وهي تستحقُّ أن تُفرَد برسائلَ جامعيَّة، ولولا خَشيةُ الإطالة لذكرتُ الكثير من الأمثلة الَّتي لا ينقضي العجبُ من أسرارها وجميل مناسباتها، ولطيف علاقتها.

المطلب الثَّاني: المُناسَبات في الآيات المتشابهات معنًى:

التَّشابه في المعنى في القرآن هو الأصل، فالقرآن جاء لهداية النَّاس، وبيَّن التَّوحيد والرِّسالات والبعث، وبيَّن ماذا ينتظر الصَّالحين، وكيفيَّة الوصول إليه، وما للمجرمين وكيفيَّة تجنُّبِه. والآياتُ يُكمِل بعضُها بعضًا، ويوضِّح بعضُها بعضًا، وهذا أمرٌ ظاهر لا إشكالَ فيه.

ولكنِّي أقصِد هنا نوعين خاصَّين فقط؛ وهما:

١- الجمع بين آيتين متقاربتين في بعض المعاني، ثمَّ استنباط معنى ثالث منهما.

٢- والمناسبة بين العمل والجزاء في القرآن.

---

(١) درَّة التَّنزيل، للإسكافيِّ ص ٢٠٩.

والنَّوع الأوَّل: افتتَحَ بابَه الصَّحابيُّ الجليل الأسدُ الغالب عليُّ بن أبي طالب ﷺ في القصَّة المشهورة، فيما رواه ابن أبي حاتم[1] «عن بعجة بن عبد الله الجُهَنيِّ، قال: تزوَّج رجل منَّا امرأة من جُهَينَةَ، فولدت له لِتَمامِ سِتَّة أشهُرٍ، فانطلقَ زوجُها إلى عُثمانَ فذكرَ ذلك له، فبعث إليها، فلمَّا قامت لِتلبَسَ ثيابها بكت أختُها، فقالت: ما يُبكيكِ؟! فواللهِ ما التبسَ بِي أحدٌ من خَلْقِ اللهِ غَيرَه قطُّ، فيقضي اللهُ فِيَّ ما شاء. فلمَّا أُتِيَ بها عثمانُ أمر برَجْمِها، فبلغ ذلك عليًّا؛ فأتاه فقال له: ما تَصنَعُ؟ قال: ولدت تمامًا لستَّة أشهُرٍ، وهل يكون ذلك؟ فقال له عليٌّ: أما تقرأ القرآنَ؟ قال: بلى! قال: أما سمعت الله يقول: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف:١٥] وقال: ﴿يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة:٢٣٣]؟ فلم نجده بقي إلَّا ستَّةُ أشهر. قال: فقال عثمان: والله ما فَطِنتُ لهذا. عليَّ بالمرأة، فوجدوها قد فُرِغَ منها، قال: فقال بعجة: فواللهِ ما الغُرابُ بالغرابِ، ولا البيضةُ بالبيضةِ بأشبهَ منهُ بأبيهِ، فلما رآهُ أبوهُ قال: ابني. إنِّي -واللهِ- لا أشُكُّ فيه». قال ابن كَثِير، كما في الموضع السَّابق: وهو استنباط قويٌّ صحيح.

وأخرج التِّرْمِذيُّ عن عِكرِمةَ، عن ابن عبَّاس، أنَّه سئل عن التَّيمُّم، فقال: «إنَّ اللهَ قال في كتابه حين ذكرَ الوضوءَ: ﴿فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [المائدة:٦]، وقال في التَّيمُّم: ﴿فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ [النساء:٤٣]، وقال: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة:٣٨]، فكانت السُّنَّة في القطع الكفَّين، إنَّما هو الوجه والكفَّان يعني التَّيمُّم»[2].

فاستدلَّ ابن عبَّاس ﷺ من مجموع الآيات أنَّ القرآن إذا ذكر اليد إنَّما يريد الكفَّين، فإن أراد أكثر من ذلك نصَّ عليه، مثل: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [المائدة:٦].

«قال أبو محمَّد بن حزم: الصَّحابة كلُّهم من أهل الجنَّة قطعًا. قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد:١٠]. وقال تعالى:

(١) تفسير ابن أبي حاتم ١٠/ ٣٢٩٣ برقم (١٨٥٦٦).

(٢) أخرجه التِّرمِذيُّ: كتاب أبواب الطَّهارة، باب ما جاء في التَّيمُّم، رقم (١٤٥).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠١]. فثبت أنَّ الجميع من أهل الجنَّة، وأنَّه لا يدخل أحد منهم النَّار، لأنَّهم المخاطَبون بالآية السَّابقة»[1]، وهو استنباط رائع من الإمام ابن حزم رحمه الله.

و«انظر إلى قوله تعالى في سورة يُوسُف عن النِّسوة: ﴿فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ﴾ [يوسف:٣١]، وقول الملك ليوسُف: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾ [يوسف:٥٤]. فيه: أنَّ النِّساء يَرُوقُهنَّ حُسنُ المظهر، وأمَّا الرِّجال فيروقهم جمال المَنطِق والمَخْبَر، وتلك من الطَّبيعة الَّتي خلقها الله تعالى في النُّفوس»[2].

«قال الضَّحَّاك بن قيس: اذكروا الله في الرَّخاء يذكُرْكُم في الشِّدَّة. إنَّ يُونُس -عليه السَّلام- كان عبدًا صالحًا، وكان يذكر الله، فلما وقع في بطن الحوت سأل الله، فقال الله: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [الصَّافَّات: ١٤٣، ١٤٤]. وإنَّ فرعون كان عبدًا طاغيًا، ناسيًا لذكر الله تعالى، فلمَّا أدركه الغرق قال: ﴿ءَامَنتُ﴾ [الأنعام:١٥٨] فقال الله: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ﴾ [يونس:٩١]؛ فاجعل لك ذخائر خير من تقوى تجد تأثيرها»[3].

ودلَّ القرآنُ على تفضيل أبي بكر الصِّدِّيق ﷺ فإنَّ قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ [الليل: ١٧، ١٨] نزل في أبي بكر، بإجماع المفسِّرين. والأتقى: أفعَلُ تفضيلٍ، فإذا ضَمَمْتَ إلى ذلك قولَه تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحُجُرات:١٣] تبيَّن لك أنَّ أبا بكر أفضلُ هذه الأمَّة بعد رسول الله ﷺ[4].

(١) الإصابة في تمييز الصَّحابة، لابن حجر ١/١٦٣.

(٢) ليدَّبَّروا آياته ص ٢٨٩ نقلاً عن الشَّيخ د. محمَّد بن إبراهيم الحمد.

(٣) زاد المسير، لابن الجوزيِّ ٤/٦٠.

(٤) انظر: التَّفسير الكبير، للرَّازيِّ ٣١/٢٠٤.

«قال تعالى في سورة فاطر: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]. وقال في سورة البيِّنة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البيِّنة:٧] إلى قوله: ﴿لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البيِّنة:٨]، فاقتضت الآيتان: أنَّ العلماء هم الَّذين يخشَون الله تعالى، وأنَّ الَّذين يخشَون الله تعالى هم خيرُ البَرِيَّة. فتبيَّن بهذا أنَّ العلماء هم خير البريَّة»[١].

«الأوَّليَّة تزيد الخير والشَّرَّ. قال تعالى، في الخير: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٥١] وقال في الشَّرِّ: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ [البقرة:٤١]. واستيعاب هذا المبدأ القرآنيِّ يثمر للإنسان معرفة فضل الرُّوَّاد في الخير، وخبث الرُّوَّاد في الشَّرِّ»[٢].

ومن النَّوع الثَّاني (وهو المناسبة بين العمل والجزاء في القرآن):

قوله ﷻ عن قوم لوط: ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحِجر:٧٤]. هذا من المناسبة بوضوح، فإنَّهم لَمَّا انقلبوا عن الحقيقة والفطرة، ونزلوا إلى أسفل الأخلاق؛ جعل الله أعاليَ قريتهم سافِلَها[٣].

لَمَّا افتخر فرعون بقوله: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ [الزُّخرُف:٥١] عُذِّب بِما افتخرَ به، فأُغرِقَ في البحر. وعادٌ عُذِّبَت بألطفِ الأشياء، وهي الرِّيح، لَمَّا تعالت بقوَّتها وقالت: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فُصِّلَت:١٥]![٤].

﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطفِّفين:١٥]. قال الحسين بن الفضل: كما حجبهم في الدُّنيا عن توحيده؛ حجبهم في الآخرة عن رؤيته[٥].

---

(١) تذكرة السَّامع والمتكلِّم، لابن جماعة ص ٦.

(٢) ليدَّبَّروا آياته ص ٤٣٣ عن الشَّيخ إبراهيم السَّكران.

(٣) المرجع السَّابق ص ٩٤ نقلاً عن الشَّيخ ابن عثيمين رحمه الله.

(٤) المرجع السَّابق ص ١٧١ نقلاً عن الشَّيخ ابن عثيمين أيضًا.

(٥) معالم التَّنزيل، للبغويِّ ٣٦٦/٨.

﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ [الإنسان:١٢]. لَمّا كان في الصَّبر -الَّذي هو حبس النَّفس عن الهوى- خشونة وتضييق، جازاهم على ذلك نعومة الحرير وسَعَة الجَنَّة[1].

﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴾ [البروج: ٤، ٥]. الَّذين أحرقوا المؤمنين في الأخدود سيحرقون، ولكن أين؟ في جهَنَّم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [البروج: ١٠]. أحرقوا المؤمنين في الدُّنيا؛ فأحرقوا في الآخرة، وما أعظم الفرق بين حريق وحريق[2]!

وهذا النَّوع في القرآن كثير جدًّا.

المطلب الثَّالث: المُناسَبات بين المتشابهات وصفًا:

من لطيف المُناسَبات الَّتي ذكرها بعض العلماء: المُناسَبات في الأوصاف، حيث لاحظ العلماء أنَّ بعض الآيات تشترك في استفتاح أو ختام أو صفة معيَّنة، ووجدوا بينها مناسبة لطيفة، وهذه بعض الأمثلة الَّتي توضح هذا النَّوع من المُناسَبات:

قال ﷻ: ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ [المعارج:٥]، ﴿ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ [المزَّمل:١٠]، ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ [الحجر:٨٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: «والله تعالى ذكَرَ في القرآن: الهجر الجميل، والصَّفح الجميل، والصَّبر الجميل، وقد قيل: إنَّ الهجر الجميل هو هجر بلا أذى، والصَّفح الجميل صفح بلا معاتبة، والصَّبر الجميل صبر بغير شكوى إلى المخلوق»[3].

ولم يذكر، رحمه الله، السَّراح الجميل ﴿ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ [الأحزاب:٢٨]، وهو الطَّلاق

---

(١) روضة المُحبِّين، لابن القَيِّم ص ٤٨٠.

(٢) ليدَّبَّروا آياته ص ٦٥٤.

(٣) العبوديَّة، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة ص ٨٥.

بغير انتقام وقطيعة.

- وجاء في القرآن وصف بعض الأمور بـ «الجاهليَّة» مثل: (ظَنَّ الجاهليَّة، حُكْم الجاهليَّة، تَبَرُّج الجاهليَّة، حَمِيَّة الجاهليَّة).

ظَنُّ الجاهليَّة: يشير إلى الجانب العَقَديِّ.

وحُكم الجاهليَّة: يشير إلى الجانب السِّياسيِّ.

وتَبَرُّج الجاهليَّة: يشير إلى الجانب الأخلاقيِّ.

وحميَّة الجاهليَّة: تشير إلى الجانب الاجتماعيِّ.

وهي أبرز معالم الجاهليَّة الَّتي يجب على الأمَّة الحذر من التَّشبُّه بها[1].

- (قولًا ثقيلًا، يومًا ثقيلًا): لم يصف الله ﷻ في كتابه شيئًا بالثِّقَل إلَّا أمرين: الوحي، ويوم القيامة، فقال: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزَّمل:٥]، وقال: ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان:٢٧]. والمناسبة في ذلك -والله أعلم- أنَّه لا ينجو في اليوم الثَّقيل إلَّا من تَمسَّك بالقول الثَّقيل.

- افتُتِحَت سورتان بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [الحج:١]، وهما: سورتا النِّساء، والحجِّ، وجاء الأمر بالتَّقوى فيهما، ثُمَّ ذكر في الأولى بَدْء الخلق والحياة للإنسان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء:١]. وفي سورة الحجِّ ذِكْر لنهاية هذه الحياة وبداية حياة أخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج:١].

- «ومن أمثلة ذلك أيضًا: قوله تعالى في سورتي إبراهيم والنَّحل: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل:١٨]. وقد ختمها في سورة إبراهيم ختمًا مختلِفًا عنه في سورة النَّحل؛ إذ إنَّ السِّياق والنَّظم ليس واحدًا؛ لأنَّ الله قد

---

(١) انظر بحث: الألفاظ التي اقترنت بمصطلح الجاهليَّة في القرآن الكريم ودلالة الاقتران، لناصر الماجد، في موقع ملتقى أهل التَّفسير.

وصف في سورة إبراهيم الإنسان وما فيه من ظلم وإنكار لفضل المنعم؛ ثمَّ قال: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:٣٤]. أمَّا في سورة النَّحل فقد وصف الله وذكرت صفاته وأثبتت ألوهيَّته، ثمَّ قال: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل:١٨]»[1]. فالأولى خُتمت بتعامل العبد مع ربِّه، والثَّانية خُتمت بتعامل الرَّبِّ مع عبده.

ما أرحمَ اللهَ ﷻ، وما أجحدَ العبدَ!

ومن لطيف المعاني : أن أهل النار لما أطلقوا العنان لشهواتهم كان مصيرهم ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ:٥٤]، وأهل الجنة لما أدبوا شهواتهم كانت جائزتهم ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ﴾ [فصِّلت:٣١].

المطلب الرَّابع: المتشابهات في القراءات:

القراءات فيها من الفوائد العزيزة الكثيرة ما لا يُحصى، والكثير من هذه القراءات بينها مناسبات لطيفة، وقد ذكر العلماء الكثير من الأمثلة في هذا الباب، منها:

قوله، ﷻ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣].

«﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب:٣٣] فيه قراءتان متواترتان، الأولى: (وقَرْنَ في بُيوتِكُنَّ)، وهي قراءة عاصم ونافع. والقراءة الثَّانية: (وقِرْنَ في بُيوتِكُنَّ) بكسر القاف، وبعض أهل العلم يقولون: إنَّ معنى القراءتين واحد، فهو من القرار، وبعض أهل العلم يفرِّق بينهما، وهذا التَّفريق ليس فيه منافاة بين القولين. ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب:٣٣] من القَرار؛ مِن قَرَّ الماءُ في الحوض، أي: استقرَّ، فتكون مستقرَّة باقية، غير خَرَّاجة ولا وَلَّاجة؛ لأنَّ المرأة الَّتي تكثر الخروج في أوَّل نهارها وفي آخره لا يقال إنَّها قارَّة في البيت.

(١) جمال النَّظم القرآنيِّ، للدُّكتور جمال الدِّين عبد العزيز شريف.

والقراءة الأخرى (وقِرْنَ في بُيوتِكُنَّ) فسَّرها جمعٌ من الأئمَّة، أئمَّةِ التَّفسير، بمعنى الوقار. وقِرْنَ من الوَقار، والمعنيان متلازمان؛ إذ إنَّ وقار المرأة المسلمة يكمُن في قرارها في بيتها، وذلك أنَّ المرأة إذا كانت خرَّاجة وَلَّاجة فإنَّ ذلك يكون على حساب وقارها، ولا بُدَّ -وهذا أمرٌ مشاهد- أنَّ المرأة الخرَّاجة الوَلَّاجة يكون فيها من الجرأة ما لا يكون في غيرها عند النِّساء القارَّات في البيوت»[1].

قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة:٢٢٢].

«قُرِئت بالتَّخفيف والتَّشديد: (يَطْهُرْنَ) (يَطَّهَّرْنَ)؛ وهما قراءتان متواتران، وقراءة التَّشديد للمبالغة في طُهْر النِّساء من المحيض، وذلك بالاغتسال؛ لأنَّ زيادة المبنى تدلُّ على زيادة المعنى. وقراءة التَّخفيف تدلُّ على أصل الطَّهارة، وهو انقطاع الدَّمِ. فمجموع القراءتين دلَّ على أنَّ الحائض لا يَقرَبُها زوجها حتَّى يَحصُلَ على أصل الطُّهر بانقطاع الدَّمِ، وحتَّى تتطهَّرَ بالاغتسال»[2].

قوله، ﷻ: ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة:٦].

قُرِئت بفتح اللام في (أرجلكم) وكسرها، وكلاهما متواترتان، فالفتح عطفًا على المغسولات، والكسر عطفًا على الممسوحات، والقدم إنَّما تُغسل لمن لم يلبَس عليها خُفًّا، وتُمسح إذا لُبس الخُفُّ، فاستوعبت القراءاتُ حال القدم»[3].

(١) مقال «هكذا ربَّى القرآن أمَّهاتِ المؤمنين» للشَّيخ د. خالد السَّبت ص ٣.

(٢) الأساس في القراءات، د. علي الجعفريّ ص ٣٨٠.

(٣) انظر: الأساس في القراءات ص ٣٨٠.



الخاتمة

بعد أن طَوَّفنا في جمال القرآن ومناسباته، وحلَّقنا في سماء لطائفه وارتباطاته، أختم بأهمِّ الفوائد والنَّتائج والتَّوصِيات:

١- علم المُناسَبات من العلوم الشَّرعيَّة الأصيلة الَّتي تحتاج إلى الكثير من التَّحقيق والتَّحرير.

٢- علم المُناسَبات مُنضَبِط؛ فله أصولٌ وقواعدُ وموازينُ يبنغي الحِرصُ على تطبيقها.

٣- المُناسَبات القرآنيَّة ترجع إلى ثلاثة أصول: المُناسَبات بين السُّوَر، وبين الآيات، وفي المُشتَبِهات.

٤- علم مقاصد السُّوَر من ثمار علم المُناسَبات.

٥- أكثر فوائد التَّدبُّر من علم المُناسَبات.

٦- البحث يُظهِر أهمِّيَّةَ اللغة وأثرَها الكبير في تدبُّر القرآن الكريم.

٧- أوصي الباحثين بإفراد مباحث هذا الكتاب برسائلَ وأبحاثٍ، ولا سِيَّما أنواعُ المُناسَبات.

وبهذا نكون قد وصلنا إلى نهايةِ المطاف، وخاتمةِ الكتاب، الَّذي أسأل الله ﷻ بمَنِّه وكرمه أن يجعلَه خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا للمسلمين، ونسألُ اللهَ ﷻ التَّيسيرَ لإكمال هذه السِّلسلة المباركة.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين.



قائمة المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الإتقانُ في علوم القرآنْ: عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السُّيوطيُّ (ت ٩١١هـ)، تحقيق محمَّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٣- اجتماع الجيوش الإسلاميَّة: محمَّد بن أبي بكر ابن قَيِّم الجوزيَّة (ت ٧٥١هـ)، تحقيق عَوَّاد عبد الله المعتق، مطابع الفرزدق التِّجاريَّة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٤- الأساس في القراءات: د. علي الجعفريُّ، أروقة للدِّراسات والنَّشر، الأردنُّ، ط١، ١٤٣٦هـ

٥- الإشارة إلى الإيجازْ في بعض أنواع الإعجازْ: العزُّ بن عبد السَّلام، طبعة استانبول.

٦- الإصابة في تمييز الصَّحابة: ابن حجر، دار الكتب العلميَّة، بيروت.

٧- إعجاز القرآن: الباقلَّانيُّ، دار المعارف، مصر، ط٥، ١٩٩٧م.

٨- الألفاظ الَّتي اقترنت بمصطلح (الجاهليَّة) في القرآن الكريم ودلالة الاقتران: ناصر الماجد، بحث في موقع مُلتقى أهل التَّفسير.

٩- البحر المحيط في أصول الفقه: أبو عبد الله بدر الدِّين محمَّد بن عبد الله بن بهادر الزَّركشيُّ (ت ٧٩٤هـ)، دار الكتبي، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

١٠- بدائع الفوائد: محمَّد بن أبي بكر ابن قَيِّم الجوزيَّة (ت ٧٥١هـ)، دار الكتاب العربيِّ، بيروت، لبنان.

١١- البرهانْ في ترتيب سور القرآنْ: الغَرناطيُّ، تحقيق محمَّد الشَّعبانيِّ، طبع وزارة الأوقاف في المغرب، ١٩٩٠م.

١٢- البرهانُ في علوم القرآنْ: أبو عبد الله بدر الدِّين محمَّد بن عبد الله بن بهادر الزَّركشيُّ (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيَّة، عيسى البابى الحلبي وشركاؤه، ط١، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

١٣- تاريخ آداب العرب: مصطفى صادق الرافعيُّ، دار الكتاب العربيِّ.

١٤- التِّبيانْ في أقسام القرآنْ: محمَّد بن أبي بكر ابن قَيِّم الجوزيَّة (ت ٧٥١هـ)، تحقيق محمَّد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

١٥- تذكرة السَّامع والمتكلِّم: ابن جَماعة، تحقيق محمد بن ناصر العَجْمي، دار البشائر.

١٦- تشنيف المسامعْ بجمع الجوامعْ: الزَّركشيُّ، تحقيق د. سَيِّد عبد العزيز، ود. عبد الله ربيع، مؤسَّسة قُرطُبة، القاهرة، ط٣، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

١٧- التَّفسير البسيط: أبو الحسن عليُّ بن أحمد الواحديُّ (ت ٤٦٨هـ)، أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة، ثمَّ قامت لجنة علميَّة من الجامعة بسبكه وتنسيقه، ونشرته عِمادة البحث العلميِّ بجامعة الإمام محمَّد بن سعود، ط١، ١٤٣٠هـ.

١٨- تفسير الشَّعراويِّ - الخواطر: محمَّد مُتولِّي الشَّعراويُّ (ت ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم.

١٩- تفسير القرآن العظيم: ابن أبي حاتِم، أبو محمَّد عبد الرَّحمن بن محمَّد بن إدريس الرَّازيُّ (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق أسعد محمَّد الطَّيِّب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ط٣، ١٤١٩هـ.

٢٠- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القُرشيُّ البَصْرِيُّ ثمَّ الدِّمَشْقِيُّ (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن محمَّد سلامة، دار طيبة للنَّشر والتَّوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٢١- تفسير المراغِيِّ: أحمد بن مصطفى المَراغيُّ (ت ١٣٧١هـ)، مطبعة مصطفى البابيِّ الحلبيِّ وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.

٢٢- التَّناسُب بين القَسَم المفرد وجوابه في القرآن الكريم: د. ناصر الدَوسَرِيُّ، بحث نُشر في مجلَّة الدِّارسات الإسلاميَّة.

٢٣- تناسُق الدُّرَرْ في تناسُب السُّوَرْ، للسُّيوطيِّ، تحقيق عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٤- تيسير الكريم الرَّحمنْ في تفسير كلام المَنَّانْ: عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعدِيُّ (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق عبد الرَّحمن بن مُعَلَّا اللُّوَيْحِق، مؤسَّسة الرِّسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٥- الجامع الكبير (سنن التِّرمِذيِّ): محمَّد بن عيسى بن سَوْرة التِّرْمِذيُّ، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق بشَّار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

٢٦- الجامع المُسنَد الصَّحيح المُختَصَر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاريِّ): محمَّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاريُّ الجُعْفِيُّ، تحقيق محمَّد زهير بن ناصر النَّاصر، دار طوق النَّجاة (مصوَّرة عن السُّلطانيَّة بإضافة ترقيم محمَّد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٧- جمال النَّظم القرآنيِّ: د. جمال الدِّين عبد العزيز شريف، مجلَّة الدَّاعي الصَّادرة عن دار العلوم ديوبند، العدد ٥-٦، السَّنة ٣٦، جُمادى الآخرة ١٤٣٣هـ.

٢٨- حِلْيَة الأولياءْ وطبقات الأصفياءْ: أبو نُعَيم أحمد بن عبد الله الأصبهانيُّ (ت ٤٣٠هـ)، مطبعة السَّعادة بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٢٩- الدُرُّ المَصُونْ في علوم الكتاب المكنونْ: السَّمين الحلبيُّ (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق أحمد الخرَّاط، دار القلم، دمشق.

٣٠- دَلائل النَّظام: عبد الحميد الفَراهيُّ، الدَّائرة الحميديَّة ومكتبتها، الهند، ١٣٨٨هـ

٣١- دَلالة الاقتران ووجه الاحتجاج بها عند الأصولِيِّين: أبو عاصم المِصريُّ، دار النَّشر والتَّوزيع الإسلاميَّة، ط١، ١٤٣٢هـ.

٣٢- روضة المُحِبِّينْ ونزهة المشتاقينْ: محمَّد بن أبي بكر ابن قَيِّم الجوزيَّة (ت ٧٥١هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٣٣- زاد المسير: ابن الجوزيِّ، تحقيق عبد الرَّزَّاق مهدي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٤- زاد المعادْ في هَدْيِ خير العبادْ: محمَّد بن أبي بكر ابن قَيِّم الجوزيَّة (ت ٧٥١هـ)، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلاميَّة، الكويت، ط ٢٧، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٣٥- سلسلة الأحاديث الصَّحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: محمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ (ت ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنَّشر والتَّوزيع، الرياض، ط١.

٣٦- سُنن ابن ماجَه: ابن ماجَه أبو عبد الله محمَّد بن يزيد القَزوينيُّ (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربيَّة، مطبعة فيصل عيسى البابيِّ الحلبيِّ.

٣٧- سِيَر أعلام النُّبلاء: شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق مجموعة من المحقِّقين بإشراف الشَّيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسَّسة الرِّسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٣٨- الشَّرح الممتعْ على زاد المستقنِعْ: محمَّد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٢ / ١٤٢٨هـ.

٣٩- شرح مُشكِل الآثار: أبو جعفر أحمد بن محمَّد الأَزْدِيُّ المعروف بالطَّحاويِّ (ت ٣٢١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسَّسة الرِّسالة، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٤٠- الصَّحاح، تاج اللغة وصَحاح العربيَّة: أبو نصر إسماعيل بن حَمَّاد الجَوهريُّ (ت ٣٩٣هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م.

٤١- ضعيف سُنن التِّرْمِذِيِّ: محمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ (ت ١٤٢٠هـ)، أشرف على طباعته والتَّعليق عليه زهير الشَّاويش بتكليف من مكتب التَّربية العربيِّ لدول الخليج، الرياض، توزيع المكتب الإسلاميِّ، بيروت، ط١.

٤٢- العبوديَّة: شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة، تحقيق زهير الشَّاويش، المكتب الإسلاميُّ، بيروت.

٤٣- علم المُناسَبات وأهمِّيَّته في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازه: نور الدِّين عِتْر، دار الغوثانيِّ للدِّراسات القرآنيَّة، دمشق، ط١، ١٤٣٢هـ

٤٤- علم المُناسَبات: لمحمد بازمول، المكتبة المكية.

٤٥- فتح القدير: محمَّد بن علي الشَّوكانيُّ اليمنيُّ (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كَثِير، دار الكَلِم الطَّيِّب، دمشق، بيروت، ط١.

٤٦- فضائل القرآن: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كَثِير (ت ٧٧٤هـ)، مكتبة ابن تيميَّة، ط١، ١٤١٦هـ

٤٧- قطف الأزهارْ في كشف الأسرارْ: جلال الدِّين السُّيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق د. أحمد الحمادي، إصدار وزارة الأوقاف القطرية.

٤٨- الكتاب المُصَنَّف في الأحاديث والآثار: أبو بكر بن أبي شَيبة (ت ٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرُّشْد، الرِّياض، ط١، ١٤٠٩ هـ

٤٩- الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل: الزَّمخشريُّ، دار الكتاب العربيِّ، ط٣، ١٤٠٧هـ

٥٠- كشف المعاني في المتشابه من المثاني: ابن جَماعة، اعتنى به د. عبد الجواد خلف، دار الوفاء، مصر، المنصورة، ط١، ١٤١٠هـ

٥١- الكَشْف والبيانْ عن تفسير القرآنْ: أحمد بن محمَّد الثَّعْلَبِيُّ، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق الإمام أبي محمَّد بن عاشور، راجعه ودقَّقه الأستاذ نظير السَّاعديُّ، دار إحياء التُّراث العربيِّ، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ

٥٢- لطائف الإشارات: القُشَيريُّ، تحقيق إبراهيم البسيونيِّ، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، ط٣.

٥٣- لمسات بيانيَّة في نصوص من التَّنزيل: فاضل بن صالح السَّامرَّائيُّ، دار عمَّار للنَّشر والتَّوزيع، عمَّان، ط٣، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٥٤- ليدَّبَّروا آياته: إعداد اللجنة العلميَّة في مركز تدبُّر للدراسات والاستشارات، دار الصُّمَيعيِّ للنَّشر والتَّوزيع، ط١، ١٤٣٦هـ.

٥٥- مباحث في التَّفسير الموضوعيِّ: مصطفى مسلم، دار القلم، ط٤، ٢٠٠٥هـ.

٥٦- مباحث في علوم القرآن: مَنَّاع بن خليل القطَّان (ت ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنَّشر والتَّوزيع، ط٣، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٥٧- مبادئ تدبُّر القرآن: عبد المحسن بن زبن المُطَيريُّ، دار الحضارة، الرياض، ط١، ١٤٣٧هـ.

٥٨- المُجتَبَى من السُّنَن (السُّنَن الصُّغرى): النَّسائيُّ أبو عبد الرَّحمن أحمد بن شُعَيب الخُراسانيُّ (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق عبد الفتَّاح أبو غُدَّة، مكتب المطبوعات الإسلاميَّة، حلب، ط٢.

٥٩- مجموع الفتاوى: تَقِيُّ الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن عبد الحليم بن تَيميَّة الحَرَّانيُّ (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق عبد الرَّحمن بن محمَّد بن قاسم، مُجمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف، المدينة النَّبويَّة، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٦٠- مدارج السَّالِكين: ابن القَيِّم، تحقيق محمَّد البغداديِّ، دار الكتاب العربيِّ، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ.

٦١- مراصد المُطالِعْ في تناسب المقاطع والمَطالِعْ: السُّيوطيُّ، تحقيق د. عبد المحسن العسكر، دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.

٦٢- المُستَدرَك على الصَّحيحين: أبو عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العِلميَّة، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٦٣- مُسنَد أبي داود الطَّيالِسِيِّ: أبو داود سُليمان بن داودَ بن الجارود الطَّيالسيُّ البصريُّ (ت ٢٠٤هـ)، تحقيق د. محمَّد بن عبد المحسن التُّركيُّ، دار هَجَر، مصر، ط١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

٦٤- مُسنَد الإمام أحمد بن حَنبَل: أبو عبد الله أحمد بن حَنْبَل، تحقيق شُعَيب الأرنؤوط وآخرين، إشراف د. عبد الله بن عبد المحسن التُّركي، مؤسَّسة الرِّسالة، ط١، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١م.

٦٥- مُسنَد البَزَّار المشهور باسم البَحر الزَّخَّار: أبو بكر أحمد بن عمرو المعروف بالبَزَّار (ت ٢٩٢هـ)، تحقيق محفوظ الرَّحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنوَّرة، ط١.

٦٦- مُسنَدُ الدَّارميِّ المعروف بسُنن الدَّارميِّ: أبو محمَّد عبد الله بن عبد الرَّحمن الدَّارميُّ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق حسين سليم أسد الدَّارانيِّ، دار المُغني للنَّشر والتَّوزيع، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ط١، ١٤١٢هـ / ٢٠٠٠م.

٦٧- المُسْنَد الصَّحيح المُختَصَر بنقل العَدْل عن العَدْل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم): مسلم بن الحجَّاج أبو الحسين القُشَيريُّ النَّيسابوريُّ (ت ٢٦١هـ)، تحقيق محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التُّراث العربيِّ، بيروت.

٦٨- مصابيح الدُّرَرْ في تناسُب الآيات والسُّوَرْ: عادل أبو العُلا، بحث منشور في مجلَّة الجامعة الإسلاميَّة، العدد ١٢٩، عام ١٤٢٥هـ.

٦٩- مصاعد النَّظَرْ للإشراف على مقاصد السُّوَرْ، ويسمَّى (المَقصِد الأسمى في مطابقة اسم كلِّ سورة للمُسَمَّى): إبراهيم البِقاعيُّ (ت ٨٨٥هـ)، مكتبة المعارف، الرِّياض، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

٧٠- المُصَنَّف: أبو بكر عبد الرَّزَّاق بن همَّام اليَمانيُّ الصَّنْعانيُّ، تحقيق حَبِيب الرَّحمن الأعظميُّ، المجلس العلميُّ بالهند، ويطلب من المكتب الإسلاميِّ، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٧١- معالم التَّنزيل في تفسير القرآن: مُحْيِي السُّنَّة، أبو محمَّد الحسين بن مسعود البَغَوِيُّ (ت ٥١٠هـ)، حقَّقه وخرَّج أحاديثه محمَّد عبد الله النَّمر وعثمان جمعة ضميريَّة وسليمان مسلَّم الحرَش، دار طيبة للنَّشر والتَّوزيع، ط٤، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م.

٧٢- معجم المفصَّل في علوم البلاغة: جمع وترتيب د. إنعام عَكَّاوي، ضمن سلسلة الخزانة اللغويَّة، دار الكتب العلميَّة.

٧٣- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السَّلام محمَّد هارون، دار الفكر.

٧٤- مفاتيح الغَيْب، أو التَّفسير الكبير: فخر الدِّين الرَّازيُّ خطيبُ الرَّيِّ (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التُّراث العربيِّ، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٧٥- مفتاح دار السَّعادة، محمَّد بن أبي بكر ابن قيِّم الجوزيَّة (ت ٧٥١هـ)، دار الكتب العلميَّة.

٧٦- المُقنِع في رَسْم مصاحف الأمصار: عثمان بن سعيد الدَّانيُّ (ت ٤٤٤هـ)، تحقيق محمَّد الصَّادق قَمْحاويُّ، مكتبة الكُلِّيَّات الأزهريَّة، القاهرة.

٧٧- ملاك التَّأويل: الغَرناطيُّ، تحقيق عبد الغنيِّ الفاسيُّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت.

٧٨- المنار في علوم القرآن: محمَّد علي الحسن، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٧٩- المنهاجْ شرح صحيح مسلم بن الحجَّاجْ: أبو زكريَّا مُحيي الدِّين يَحيى بن شرَف النَّوَويُّ (ت ٦٧٦هـ)، دار إحياء التُّراث العربيِّ، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٨٠- الموافقات: إبراهيم بن موسى الشَّهير بالشَّاطِبيِّ (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عَفَّان.

٨١- نَظْم الدُّرَرْ في تناسُب الآيات والسُّوَرْ: برهانُ الدِّين البِقاعيُّ، مطبوعات دائرة المعارف العثمانيَّة، الهند، ط١، ١٩٦٩م-١٩٧٦م.

٨٢- هكذا ربَّى القرآنُ أمَّهاتِ المؤمنين: مقال للشَّيخ العلَّامة د. خالد السَّبت.



الفهرس

تمَّ بحمد الله